الصواعق الشديدة

على اتباع الهيئة الجديدة

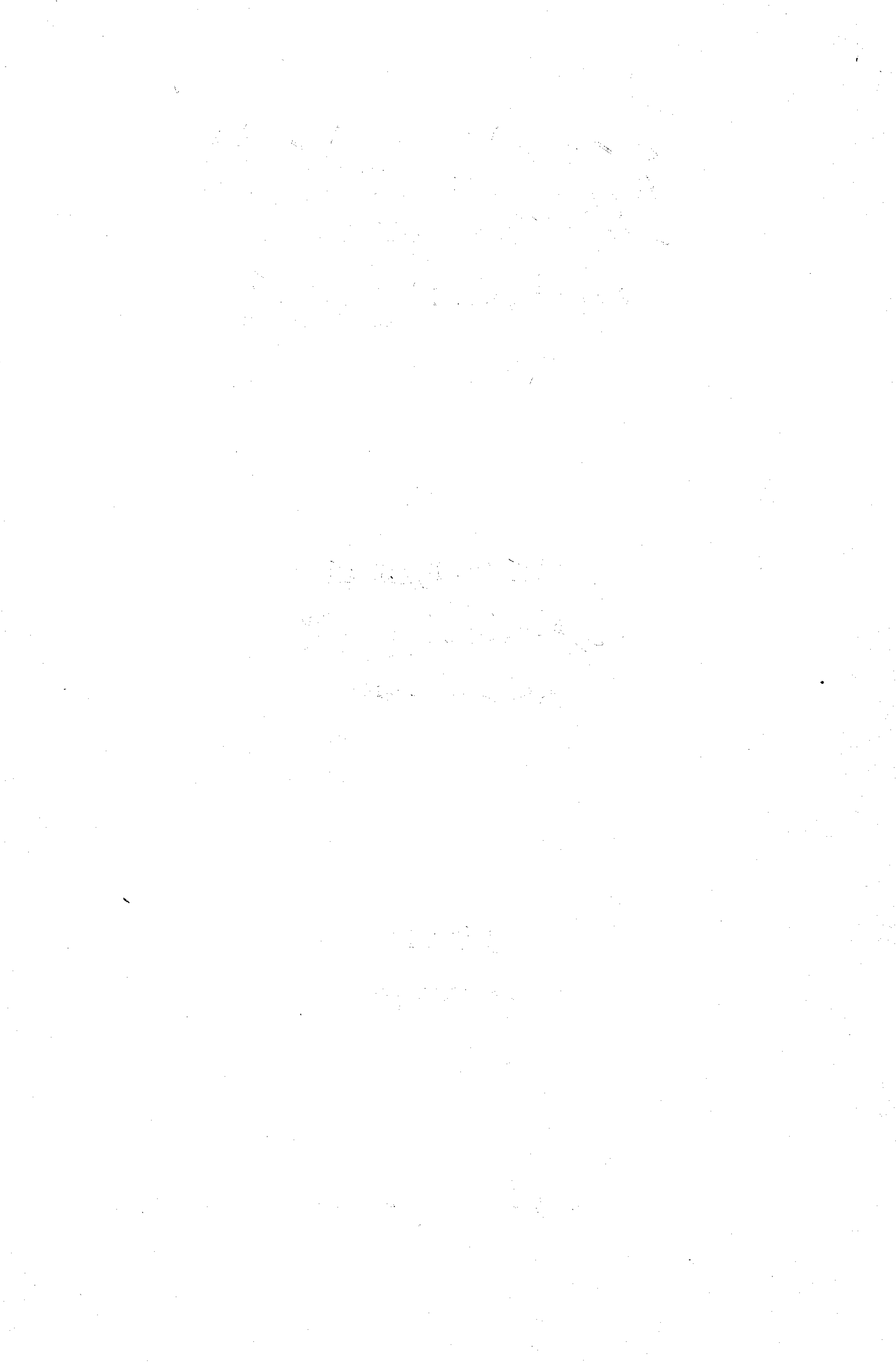
تأليف الفقير الى الله تعالى

حمود بن عبد الله التويجري

غفر الله له ولوالديه

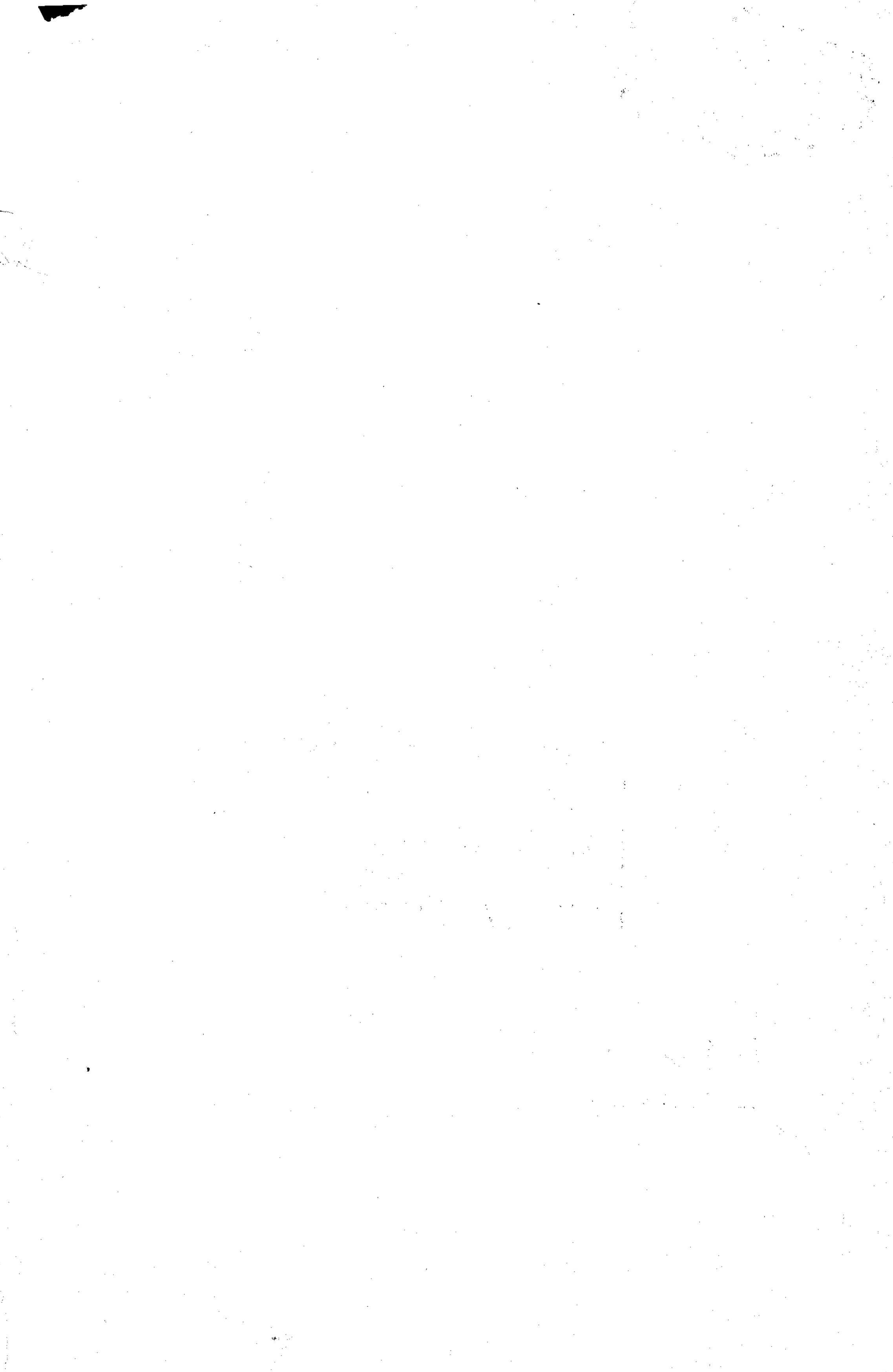
الطبعة الأولى

عام ١٣٨٨ هـ .



الصواعق الشديدة

على اتباع الهيئة الجديدة



مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده . قرىء علي هذا الكتاب الموسوم بالصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة فوجدت ما ابداه مؤلفه فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري من الرد على من زعم ان الأرض تدور وان الشمس لا تجري هو عين الصواب . قاله الفقير إلى عفو الله محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم . في ٢٠ / ٨ سنة ١٣٨٧ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين . ولا عدوان الا على الظالمين . واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين . واشهد ان محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . وسلم تسليماً كثيراً . .

أما بعد فقد رأيت مقالا لمحمد محمود الصواف . نشر في ثلاثة اعداد من جريدة الدعوة . عدد ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ العدد الأول في ١٠ صفر سنة ١٣٨٦ ﻫ والثاني في ١٧ منه . والثالث في ٢٤ منه . وقد عارض الصواف بمقاله هذا ما قرره الشيخ الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز من جريان الشمس وسكون الأرض وثباتها . وما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز هو الحق والصواب . وما قاله الصواف هو الباطل والضلال البعيد . وليس تعقب الصواف مقصورا على الشيخ عبد العزيز بن باز فحسب . بل هو والعياذ بالله معارضة للآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة الدالة على جريان الشمس وعدم استقرارها كما سأذكره ان شاء الله تعالى وقد رأيت ان أكتب على كلامه ما تيسر تحقيقاً للحق ونصحاً للخلق . سائلا من المولى جلّ جلاله ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

فصل

وأول من قال ان الشمس هي المركز الثابت الذي تدور عليه السيارات من الكواكب وإن الأرض من جملة الكواكب السيارة التي تدور على الشمس هو فيثاغورس الفيلسوف

اليوناني وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحو من خمسمائه سنة . وقيل ستمائة . وذهب كبير الفلاسفة و مقد مهم بطليموس — وكان زمانه قبل المسيح بنحو مائة وخمسين سنة — إلى ان الأرض هي المركز الثابت وإن الشمس والقمر وسائر الكواكب تدور على الأرض . واهل الهيئة القديمة يقولون بهذا القول وهو الحق الذي تدل عليه الآيات والاحاديث الصحيحة واقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وائمة العلم والهدي من بعدهم كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى . وأما قول فيثاغورس فكان مهجورا نحوا من ألف وثمانمائة سنة حتى ظهر الفلكي البولوني « كوبرنيك » في القرن العاشر من الهجرة فقرر رأي فيثاغورس وايده بالادلة الرياضية . ولما كان في اثناء القرن الثاني عشر من الهجرة ظهر هرشل الإنكليزي واتباعه من فلاسفة الافرنج اصحاب الرصد والزيج الجديد فنصروا قول فيثاغورس وردوا ما خالفه وشاع قولهم منذ زمانهم إلى زماننا هذا وتلقاه كثير من المسلمين بالقبول تقليداً لا عداء الله تعالى . وذلك بسبب سيطرة الانجليز وبعض الدول الاوربية على كثير من بلاد الإسلام في آخر القرن الثالث عشر من الهجرة واكثر القرن الرابع عشر . فامتزج اهل تلك البلاد باعداء الله تعالى امتزاجاً تاماً . وظهر النشء منهم متثقفين بالثقافة الافرنجية يحذون حذو اعداء الله تعالى في هيئاتهم وانظمتهم وقوانينهم ويسارعون إلى قبول آرائهم وظنونهم وتخرصاتهم . ويتمسكون بها أعظم مما يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة . وكثير منهم كانوا يسافرون إلى الجامعات الاوربية ويتروون من تعاليمها الآجنة المسمومة عللا بعد نهل حتى فشت فيهم الزندقة والالحاد والاستخفاف بشأن القرآن العظيم فكان كثير منهم يحملونه على ما يوافق آراء الافرنج واقوالهم الباطلة كما هو موجود في كثير من مصنفاتهم فادخلوا بذلك على المسلمين شراً كثيراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهولآء الذين ذكرنا من فلاسفة الافرنج وهم كوبرنيك وهرشل واتباعهما يقال لهم اهل الهيئة الجديدة . قال محمود شكري الالوسي في مقدمة كتابه الذي سماه « ما دل عليه القرآن . مما يعضد الهيئة الجديدة » قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير في هيئة الافلاك ونصره الفلاسفة المتأخرون بعد ان كان عاطلا مهجوراً وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية على الشمس وانها هي مركز نظامها وان الأرض احدى الكواكب

السيارة وانها سابحة في الجو معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها كسائر الكواكب .
لا أنها كما ذهب إليه بطليموس في الافلاك كالمسامير في الباب . قال وقد سماها الفلاسفة المتأخرون الهيئة الجديدة لكونها شاعت في العصر المتأخر والافالقول بها متقدم جداً .
وذكر الالوسي أيضاً في صفحة ٢٣ ان المتأخرين ممن انتظم في سلك الفلاسفة كهرشل واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد تخيلوا خلاف ما ذهب إليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بان الشمس مركز . والارض وكذا النجوم دائرة حولها . وذكر الالوسي أيضاً في صفحة ٢٩ ما ذهب إليه اصحاب الزيج الجديد من ان الشمس ساكنة لا تتحرك أصلا وانها مركز العالم وان الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها .
وقال أيضاً في صفحة ٣٣ والمنجمون يقسمون النجوم إلى ثوابت وسيارات والسيارات عند المتقدمين سبع باجماعهم . وعند المنجمين اليوم وهم اهل الهيئة الجديدة ان الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها وانها اعظم من الأرض بالف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة وإن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في ازمنة مخصوصة انها تدور على نفسها في خمسة وعشرين يوماً واثنتي عشرة ساعة . وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات وهي عندهم عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووسنة وقد كشفها رجل منهم يقال له « اولبوس » في حدود سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف للهجرة (ونبتون) وقد كشفها رجل منهم يقال له « هاردنق » في حدود سنة عشرين ومئتين وألف للهجرة (وسيرس) وقد كشفها رجل منهم يقال له « بياظي » في حدود سنة ست عشرة ومئتين وألف للهجرة (وبلاس) وقد كشفها « اولبوس » ايضاً في حدود سنة سبع عشرة ومئتين وألف . والمشتري وزحل (وأورانوس) وقد كشفها رجل منهم يقال له « هرشل » في حدود سنة سبع وتسعين ومائة وألف للهجرة . ولم يعدوا القمر من السيارات بل من سيارات السيارات لأنه يدور حول الأرض ودورانها حول الشمس . وهو عندهم دون عظم الارض بتسع واربعين مرة . وزعمو ان بعد الشمس عن الأرض اربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي وهو المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة ألف فرسخ ومع هذا يصل نورها الينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية . وان البعد الابعد للقمر عنها احد وتسعون

ألفاً واربع مائة وخمسون فرسخاً . والبعد الأقرب له ثمانون ألفاً ومائة وخمسة فراسخ فيكون البعد الأوسط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ . وكانوا يزعمون من قبل ان ليس للشمس حركة على كوكب آخر وإنما لها حركة على نفسها فقط ثم أدركوا ان لها حركة على كوكب من كواكب الثريا وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر ابعد منه وهكذا إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عندهم وفيه من الكواكب ما لا يتناهى أيضاً — إلى ان قال — ولهم تقسيمات اخر باعتبارات اخر بنوا عليها ما بنوا ولا يكاد يسلم لهم الا ما لم يلزم منه محذور في الدين انتهى . وإذا علم ما ذكرنا ههنا عن أهل الهيئة الجديدة الذين من اولهم كوبرنيك البولوني في القرن العاشر وهرشل الانكليزي واتباعه في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر من الهجرة وان اصله مأخوذ عن فيثاغورس اليوناني فليعلم أيضاً ان قولهم في سكون الشمس ودوران الأرض عليها قول باطل معلوم البطلان عند كل من نور الله قلبه بنور العلم والإيمان . والادلة على بطلانه كثيرة جداً . وانا اذكر ههنا ما تيسر من ذلك وبالله المستعان .

فأما الأدلة من القرآن ففي اثنين وعشرين موضعاً منه وقد قال الله تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى :

الدليل الأول قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) قال الراغب الاصفهاني الجري المر السريع . وقال الجوهري الجارية الشمس والجارية السفينة . وقال ابن منظور في لسان العرب جرت الشمس وسائر النجوم سارت من المشرق إلى المغرب . والجارية الشمس سميت بذلك لجريها من القطر إلى القطر . ثم ذكر عن صاحب التهذيب انه قال الجارية عين الشمس في السماء قال الله عزَّ وجلَّ (والشمس تجري لمستقر لها) والجارية الريح قال الشاعر :

فيوما تراني في الفريق معقلا ويوما اباري في الرياح الجواريا

وقوله تعالى (فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس) يعني النجوم . وجرت السفينة جرياً كذلك . والجارية السفينة صفة غالبة . وفي التنزيل (حملناكم في الجارية) وفيه (وله الجوار المنشئات في البحر) وقوله عزَّ وجلَّ (بسم الله مجراها ومرساها)

ثم ذكر عن الليث انه قال الخيل تجري والرياح تجري والشمس تجري جرياً الا الماء فانه يجري جريه أي بكسر الجيم والجراء للخيل خاصة وانشد :

غمر الجراء إذا قصرت عنانه . . . .

وفرس ذو أجاري أي ذو فنون في الجري انتهى وقد ذكر الله تعالى عن السفن والرياح نظير ما ذكره عن الشمس من المر السريع فقال تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره) وقال تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال) الآية . وقال تعالى (وحملناه على ذات الواح ودسر . تجري باعيننا) الآية . وقال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) الآية وقال تعالى (فالجاريات يسراً) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى . وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم (والشمس تجري لا مستقر لها) قال البغوي أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً . وقال القرطبي أي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار إلى إلى ان يكورها الله يوم القيامة . وقال ابن كثير أي لا قرار لها ولا سكون بل هي سائرة ليلا ونهاراً لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة انتهى . وكفى بهذه الآية حجة على ابطال ما يزعمه كوبرنيك وهرشل واتباعهما من اهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويأخذ باقوالهم من المسلمين .

الدليل الثاني قوله تعالى في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) الآية .

الدليل الثالث قوله تعالى في سورة لقمان (الم تران الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير) .

الدليل الرابع قوله تعالى في سورة فاطر (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك) الآيـــة .

الدليل الخامس قوله تعالى في سورة الزمر (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار).

ففي هذه الآيات كلها النص على جريان الشمس والقمر والرد على من قال ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم.

قال الراغب الاصفهاني قوله يكور الليل اشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما انتهى.

الدليل السادس قوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون).

الدليل السابع قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).

قال الراغب الاصفهاني السبح المر السريع في الماء وفي الهواء يقال سبح سبحاً وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك نحو (وكل في فلك يسبحون) ولجري الفرس نحو (فالسابحات سبحا) ولسرعة الذهاب في العمل نحو (ان لك في النهار سبحاً طويلا) انتهى.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى قوله (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكه كفلكة المغزل. وقال مجاهد الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور إلا به انتهى.

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (وكل في فلك يسبحون) قال في فلكة مثل فلكة المغزل.

وروى أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله يسبحون قال يدورون في أبواب السماء كما يدور المغزل في الفلكة.

وروى ايضاً عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في فلك يقول دوران . وقوله يسبحون يعني يجرون .

وروى ايضاً من طريق عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول (وكل في فلك يسبحون) قال النجوم والشمس والقمر فلك كفلكة المغزل . وقال مثل ذلك الحسبان يعني حسبان الرحى وهو سفودها القائم الذي تدور عليه وكان مجاهد يفسر قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) بهذا . قال مجاهد ولا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا تدور الفلكة إلا بالمغزل ولا يدور الحسبان الا بالرحى ولا تدور الرحى إلا بالحسبان . قال فكذلك النجوم والشمس والقمر هي في فلك لا يدمن إلا به ولا يدوم إلا بهن قال فنقر لي باصبعه قال فقال مجاهد يد من كذلك كما نقر قال فالحسبان والفلك يصيران الى شيء واحد غير ان الحسبان في الرحى والفلك في المغزل .

قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى قوله لا تدوم الا به أي لا تدور إلا به ومنه الدوامة بالضم والتشديد وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم على الارض أي تدور ومنه تدويم الطير وهو تحليقه ودورانه في طيرانه ليرتفع إلى السماء . وقوله نقر باصبعه يعني نقر بها في الارض وادارها ليشبه بذلك دوران الفلك انتهى .

وروى ابن ابي حاتم عن الحسن البصري في قوله (وكل في فلك يسبحون) قال يعني استدارتهم

وروى أيضاً عن الضحاك في قوله (وكل في فلك يسبحون) قال يدور ويذهب

وروى أيضاً عنه قال الفلك السرعة والجري في الاستدارة ويسبحون يعملون .

وقال البغوي في تفسيره (كل في فلك يسبحون) يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء . وانما قال يسبحون ولم يقل نسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح فذكر على ما يعقل .

والفلك مدار النجوم الذي يضمها ، والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه افلاك ومنه فلكة المغزل . وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل . يريد ان الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة . قال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها . قال مجاهد كهيئة حديد الرحى . وقال بعضهم الفلك السماء الذي فيه

ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وهو معنى قول قتادة . وقال الكلبي الفلك استدارة السماء انتهى .

وفي الآيتين اللتين ذكرنا من سورة الانبياء وسورة يس رد على أهل الهيئة الجديدة الذين ينكرون جريان الشمس ويزعمون انها ثابتة لا تتحرك .

الدليل الثامن قوله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكل الليل والنهار) .

قال الراغب الاصفهاني الدأب ادامة السير داب في السير دأباً . قال (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) .

وقال ابن منظور في لسان العرب الدؤب المبالغة في السير وأدأب الرجل الدابة إدآبا إذا اتعبها .

وقال ابن كثير في تفسيره (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي يسيران لا يفتران ليلا ولا نهاراً . وقال في موضع آخر أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة انتهى . وقال القرطبي : الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية . وقيل دائبين في السير امتثالاً لامر الله والمعنى يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران انتهى ؟

وكفى بهذه الآية حجة على من انكر جريان الشمس من فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم من جهال المسلمين .

وفي قوله تعالى (وسخر لكم) دليل على ان الشمس والقمر يجريان ويدوران على الارض لقيام معايش العباد ومصالحهم ولهذا امتن الله عليهم بذلك في هذه الآية وفي غيرها من الآيات التي سيأتي ذكرها . وكذلك امتن عليهم بذلك في قوله تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .

الدليل التاسع قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية على سير الشمس أنه سبحانه وتعالى أخبر ان الليل يطلب النهار طلباً حثيثاً أي سريعاً . والنهار هو ضوء الشمس وهو تابع لها يسير بسيرها فدل على أنها تسير دائماً ولا تستقر .

وفي الآية دليل آخر على سير الشمس وهو قوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) فان التسخير المذكورههنا هوتسخيرها تجري لمصالح العباد كما نص الله تبارك وتعالى على ذلك في قوله (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقوله تعالى في الآيات الاربع التي تقدم ذكرها (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) .

الدليل العاشر قوله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

الدليل الحادي عشر قوله تعالى (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأني يؤفكون) والمعنى في هذه الآيات الثلاث واحد وهو ان الله سبحانه وتعالى سخر الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وجعلها تجري دائماً على الأرض لقيام معايش العباد ومصالحهم فتبارك الله رب العالمين الذي سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه .

الدليل الثاني عشر قوله تعالى (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وهذه الآية من اوضح الادلة على سير الشمس ودورانها على الارض وان الله تعالى سخرها تأتي من المشرق كل يوم وتذهب نحو المغرب . ولو كانت قارة لا تزول عن مكانها كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لكان الاخبار عن الاتيان بها من المشرق لغواً لا معنى له ولا فائدة في ذكره ولكان ينبغي ان يقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لخصمه ان الله يأتي بالأرض من المغرب فأت بها من المشرق . فقاتل الله أهل الهيئة الجديدة الذين قلبوا الحقيقة وعكسوا القضية بلا برهان بل بمجرد الظن والحسبان . وانه لينطبق عليهم قول الله تعالى في اشباههم من المتخرصين (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة

الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) .

الدليل الثالث عشر قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم أني بريء مما تشركون) والبزوغ الطلوع والأفول الغيبوبة .

وهذه الآيةمن أوضح الادلة على سير الشمس ودورانها علىالأرض.وقد ذكر الله تعالى عن القمر من البزوغ والافول نظير ما ذكر عن الشمس . وذكر أيضاً عن الكوكب من الافول نظير ما ذكره عن الشمس والقمر فأثبت المسلمون ما أثبته الله للكل من السير والدوران حول الأرض واثبت ذلك أيضاً أهل الحقيقة القديمة . وخالف في بعض ذلك كوبرنيك وهرشل واتباعهما من فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين فاثبتوا للقمر السير والدوران على الارض واثبتوا للكواكب السيارة السير والدوران على الشمس ونفوا عن الشمس بالكلية ولازم ذلك نفي ما اثبته الله تعالى لها من البزوغ والأفول وذلك كفر لا شك فيه لما فيه من تكذيب ما اخبر الله به في كتابه . ومن اثبت السير والبزوغ والافول للقمر لزمه ان يثبت ذلك للشمس وان لم يفعل فقد فرق بين متماثلين وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعض . وقد قال الله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) .

الدليل الرابع عشر قوله تعالى (اقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) الآية .

وقد فسر الدلوك بزوال الشمس عن وسط السماء وفسر بغروبها وكلاهما يدل على سير الشمس .

قال البغوي أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت انتهى .

الدليل الخامس عشرقوله تعالى (وترى الشمس إذا طلعت تزاورعن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) الآية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وزيد بن اسلم تزاور اي تميل .

الدليل السادس عشر قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) الآية .

الدليل السابع عشر قوله تعالى (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) .

الدليل الثامن عشر قوله تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) الآية .

الدليل التاسع عشر قوله تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية والآيات الست قبلها ان الله سبحانه وتعالى اضاف الطلوع والغروب والدلوك والتزاور إلى الشمس فدل على انها هي التي تسير وتدور على الأرض فتطلع عليها من ناحية المشرق وتزول إذا توسطت السماء وتغرب من الناحية الأخرى .

ولو كانت الشمس قارة ساكنة كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويحذو حذوهم لكانت اضافة هذه الاشياء اليها لغوا لا معنى له ولا فائدة في ذكر . ولا يخفى ان هذا من لوازم القول باستقرار الشمس وثباتها وهو قول وخيم لا يصدر من أحد يؤمن بالله وكتابه .

الدليل العشرون قوله تعالى (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها) وفي هذه الآية دليل على ان الشمس تسير والقمر يتلوها تابعاً لها . قال ابن عباس رضي الله عنهما تلاها تبعها رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شروط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه . وكذا قال مجاهد تلاها تبعها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يتلو النهار . وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال . وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر .

الدليل الحادي والعشرون قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) .

الدليل الثاني والعشرون قوله تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم) وقد تقدم قريباً قول مجاهد ان ذلك كحسبان الرحى وهو سفودها القائم الذي تدور عليه . قال ولا يدور الحسبان الا بالرحى ولا تدور الرحى إلا بالحسبان ، قال فكذلك النجوم والشمس والقمر هي في فلك لا يدمن إلا به ولا

يدوم إلا بهن . قال والحسبان والفلك يصيران إلى شيء واحد غير ان الحسبان في الرحى والفلك في المغزل رواه ابن أبي حاتم . وذكره البخارى في صحيحه مختصراً فقال وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحى . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري مراده انهما يجريان على حسب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها .

وقيل الحسبان مصدر كالحساب أي جعل الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر معلوم لا يجاوزانه وفي منازل لا يعدوانها . قال ابن عباس رضي الله عنهما (الشمس والقمر بحسبان) قال بحساب ومنازل رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه . ولا منافاة بين القولين فان الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل وفي فلك مستدير كاستدارة الرحى والله أعلم .

وقد قرن الله تبارك وتعالى وهو العليم الخبير بين الشمس والقمر في أكثر هذه المواضع التي ذكرنا واخبر ان كلا منهما يجري ويسبح في الفلك فاعترف أهل الهيئة الجديدة بذلك في القمر وانكروه في الشمس فكان مثلهم في ذلك مثل اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وليس لهم على التفريق دليل ابداً إلا أن يكون من التخرصات الكاذبة والتوهمات الفاسدة . ونقول لهم ما أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ان يقوله لسلفهم (قل أأنتم أعلم أم الله) .

فصل

وأما دلالة السنة على جريان الشمس ففي احاديث كثيرة نذكر منها ما تيسر ان شاء الله تعالى .

الحديث الاول عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس « تدري اين تذهب » قلت الله ورسوله أعلم قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قول الله تعالى (والشمس

تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) متفق عليه واللفظ للبخارى ورواه الامام أحمد وابو داود الطيالسي والترمذي بنحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. قال وفي الباب عن صفوان بن عسال وحذيفة بن اسيد وانس وابي موسى انتهى وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً « اتدرون اين تذهب هذه الشمس » قالوا الله ورسوله اعلم قال « ان هذه تجري حتى تنتهي إل مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون متى ذاكم . ذاك حين لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً » .

وفي هذا الحديث الصحيح اوضح دليل على ان الشمس تجري وتدور على الارض ، وفيه رد على أهل الهيئة الجديدة الذين يزعمون ان الشمس ثابتة لا تجري ولا تتحرك .

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا أحد بني بيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه » الحديث رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم .

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس » رواه الامام أحمد واسناده صحيح على شرط البخاري .

وهذا الحديث والذي قبله من أقوى الادلة على سير الشمس ولهذا قال لها يوشع بن

نون انك مأمورة وانا مأمور ثم دعا الله تعالى ان يحبسها عليه فحبست فهذا نص صريح في أن الشمس هي التي تسير وتدور على الأرض .

ولو كان الأمر على ما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لكان ينبغي ليوشع بن نون ان يخاطب الأرض ويدعو الله تعالى ان يحبسها عليه . وعلى قولهم يكون خطاب يوشع للشمس خطأ ودعاؤه بأن تحبس عليه لغوا ، واخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك مقرراً له خلاف الصواب . هذا مقتضى قولهم الباطل وهو مما ينزه عنه آحاد العقلاء فضلا عن انبياء الله المعصومين فقاتل الله أهل الهيئة الجديدة أني يؤفكون .

الحديث الرابع عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار » رواه الطبراني في الاوسط . قال الهيثمي واسناده حسن . وفيه دليل على جريان الشمس . وفيه ايضاً الرد على أهل الهيئة الجديدة الذين يزعمون ان الشمس لا تجري ولا تتحرك .

الحديث الخامس عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره فقال :

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق » وقال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا في رسلها ... الا معذبة والا تُجْلَد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق » رواه الامام أحمد وابنه عبد الله في زوائد المسند وفي كتاب السنة وابن خزيمة في كتاب التوحيد وابو يعلي والطبراني ورواته ثقات . وفي بعض طرقه عند ابن خزيمة تصريح محمد بن اسحاق ان شيخه حدثه بذلك فزال ما يخشى من تدليسه .

قال ابن خزيمة قوله والا تجلد معناه اطلعي كما قال ابن عباس رضي الله عنهما .

قلت قول ابن عباس رضي الله عنهما الذي اشار اليه ابن خزيمة هو ما رواه أبو بكر ابن الانباري في كتاب المصاحف باسناده عن عكرمة قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما أرأيت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمية بن أبي الصلت آمن شعره و كفر

قلبه فقال هو حق فما أنكرتم من ذلك قلت قوله في الشمس الا معذبة والأنجلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت الشمس قط حتى ينخسها سبعون الف ملك فيقولون لها اطلعي فتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله فيأتيها ملك عن الله عز وجل يأمرها بالطلوع فتشتعل لضياء بني آدم فيأتيها شيطان يريدان يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تحتها .

وروى ابو نعيم في الحلية من طريق الاوزاعي عن عبدة — يعني ابن أبي لبابة — قال ما ظهرت الشمس قط حتى تضرب مرة أو مرتين حتى تجذب جذباً تقول اني اعبد من دون الله .

الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع وإذا غاب حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى تغيب » متفق عليه .

الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » متفق عليه .

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس » رواه أبو داود الطيالسي في مسنده واسناده صحيح .

الحديث التاسع عن عبد الله الصنابحي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها ثم إذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا دنت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها » رواه مالك والشافعي واحمد والنسائي باسانيد صحيحة على شرط الشيخين .

الحديث العاشر عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الليل اسمع قال « جوف الليل الآخر فصل ما شئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح ثم أقصر حتى تطلع الشمس فترتفع قيس رمح أو رمحين فانها تطلع بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار ثم صل ما شئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى يعدل

الرمح ظله ثم أقصر فان جهنم تسجر وتفتح أبوابها فاذا زاغت الشمس فصل ما شئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي العصر ثم أقصر حتى تغرب الشمس فانها تغرب بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار » الحديث رواه الامام أحمد ومسلم وابو داود وهذا لفظه والنسائي والترمذي مختصراً وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي اضافة الطلوع والارتفاع والزوال والدنو والغروب إلى الشمس دليل على أنها تجري وتدور على الأرض . ولو كانت ثابتة في موضعها كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لكان ينبغي أن تجعل هذه الافعال للأرض وهذا لا يقوله عاقل .

والاحاديث التي فيها ذكر طلوع الشمس وزوالها وغروبها وطلوعها في آخر الزمان من مغربها كثيرة جداً وفيما ذكرته ههنا كفاية لمن أراد الله هدايته . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وقد روى ابن ابي حاتم باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها فاذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر .

فصل

واذا علم ان جريان الشمس ثابت بالدلائل القطعية من نصوص الكتاب والسنة فليعلم أيضاً أنه ثابت بالمشاهدة من سيرها في البروج والمنازل كما يسير القمر وسائر الكواكب السيارة . ففي أول برج الحمل تكون الشمس سائرة في خط الاستواء وحينئذ يكون بينها وبين كل من القطبين تسعون درجة ، ثم تميل بعد ذلك شيئاً فشيئاً إلى جهة القطب الشمالي وينتهي بعدها عن خط الاستواء في أول برج السرطان وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة وحينئذ يكون بينها وبين القطب الشمالي سبع وستون درجة وبينها وبين القطب الجنوبي مائة وثلاث عشرة درجة ، ثم ترجع شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى خط الاستواء في أول برج الميزان وحينئذ يكون بينها وبين كل من القطبين تسعون درجة . ثم تميل بعد ذلك شيئاً فشيئاً إلى جهة القطب الجنوبي وينتهي بعدها عن خط الاستواء في

أول برج الجدي وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة وحينئذ يكون بينها وبين القطب الجنوبي سبع وستون درجة وبينها وبين القطب الشمالي مائة وثلاث عشرة درجة . ثم ترجع شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى خط الاستواء في أول برج الحمل . وهكذا هي سائرة على الدوام . ولها في كل ثلاثة عشر يوماً منزلة من المنازل الثمان والعشرين تقارنها في مسيرها ثم تتخلف عنها وتقارن التي تليها وهكذا هي على الدوام . واما القمر فله في كل يوم وليلة منزلة من المنازل يقارنها في مسيره .

ولو كانت الشمس ساكنة ثابتة كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما كانت تدور على البروج والمنازل وتكون في خط الاستواء تارة وتميل نحو الشمال تارة ونحو الجنوب تارة وتقرب من القطب الشمالي في الصيف وتبعد عنه في الشتاء وتقرب من القطب الجنوبي في الشتاء وتبعد عنه في الصيف وتتوسط بين القطبين في فصلي الربيع والخريف .

وسيرها في البروج والمنازل وميلها نحو الجنوب في الشتاء ونحو الشمال في الصيف ورجوعها إلى خط الاستواء في فصلي الربيع والخريف معلوم عند كل عاقل ولا ينكره إلا من هو ذاهب العقل أو معاند يكابر في المحسوسات ويباهت في الضروريات .

وقد تقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (بحسبان) قال بحساب ومنازل رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

فصل

في ذكر الادلة على ثبات الارض واستقرارها . فأما الادلة من القرآن ففي عدة آيات .

الآية الاولى قوله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا . ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً) .

وهذه الآية من أوضح الادلة على ثبات الارض واستقرارها ولو كانت تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لكانت تزول من مكان إلى مكان وهذا خلاف نص الآية الكريمة .

الآية الثانية قوله تعالى (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) .

قال البغوي قال ابن مسعود رضي الله عنه قامتا على غير عمد بأمره . وقال ابن كثير على قوله تعالى (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) كقوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه) وقوله (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال والذي تقوم السماء والارض بأمره . أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره أياها .

وقال ابن منظور في لسان العرب ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات يقال للماشي قف لي أي تحبس مكانك حتى آتيك وكذلك قم لي بمعنى قف لي وعليه فسروا قوله سبحانه (وإذا أظلم عليهم قاموا) قال أهل اللغة والتفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين . ومنه التوقف في الأمر وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له ، قال ومنه قامت الدابة إذا وقفت عن السير وقام عندهم الحق أي ثبت ولم يبرح ومنه قولهم أقام بالمكان هو بمعنى الثبات ، ويقال قام الماء إذا ثبت متحيرا لايجد منفذاً وإذا جمد أيضاً .

قلت ومنه قوله تعالى (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران والله أعلم .

الآية الثالثة قوله تعالى في سورة المؤمن (الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) الآية ـ قال ابن كثير رحمه الله تعالى أي جعلهما لكم مستقراً بساطاً مهاداً تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وارساها بالجبال لئلا تميد بكم (والسماء بناء) أي سقفاً للعالم محفوظاً .

الآية الرابعة قوله تعالى في سورة النمل (أم من جعل الارض قراراً وجعل خلالها انهاراً وجعل لها رواسي) الآية . قال ابن كثير رحمه الله تعالى يقول (أم من جعل الارض قراراً) أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم فأنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الاخرى (الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء) وقال البغوي قراراً لا تميد بأهلها قلت والقرار معناه في لغة العرب الثبات والسكون قال في القاموس وشرحه قر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقروراً وقرا وتقرة ثبت

وسكن فهو قار كاستقر وتقار هو مستقر انتهى .

ثم قال ابن كثير على قوله تعالى (وجعل لها رواسي) أي جبالا شامخة ترسي الارض وتثبتها لئلا تميد بكم .

وقال القرطبي على قوله تعالى (وجعل لها رواسي) يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة .

الاية الخامسة قوله تعالى في سورة النحل (والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وانهاراً وسبلا لعلكم تهتدون) .

الآية السادسة قوله تعالى في سورة الأنبياء (وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بهم) الآية .

الآية السابعة قوله تعالى في سورة لقمان (خلق السموات بغير عمد ترونها والقي في الأرض رواسي ان تميد بكم) الآية . وفي كل من هذه الآيات دليل على استقرار الارض وسكونها .

قال الراغب الاصفهاني الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض قال (ان تميد بكم) .

وقال ابن الجوزي في تفسير سورة النحل . قوله تعالى (وألقي في الارض رواسي) أي نصب فيها جبالاً ثوابت (ان تميد) أي لئلا تميد ، وقال الزجاج كراهة ان تميد يقال ماد الرجل يميد ميداً إذا أدير به ، وقال ابن قتيبة الميد الحركة والميل يقال فلان يميد في مشيته أي يتكفأ .

وقال البغوي قوله تعالى (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد هوالاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد .

قال وهب لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احداً على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

قلت وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن نحوه . وروى سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد نحو ذلك أيضاً .

وروى ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال لما خلق الله الأرض قمصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي نتنهم ويعملون علي بالخطايا فارساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون وكان اول قرار الارض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه .

ويشهد لهذه الآثار ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت . الحديث .

وقال ابن كثير في تفسير سورة النحل . ذكر تعالى الارض وما القى فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك .

وقال أيضاً في تفسير سورة الانبياء . قوله (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ارسي الارض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها

وقال أيضاً في تفسير سورة لقمان على قوله تعالى (والقى في الأرض رواسي) يعني الجبال ارست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب باهلها على وجه الماء ولهذا قال (ان تميد بكم) أي لئلا تميد بكم . وقال القرطبي في تفسير سورة الأنبياء . وقوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها قاله الكوفيون . وقال البصريون المغني كراهية ان تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد رأسه أي دار .

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بهم) الميد التحرك والدوران أي لئلا تتحرك وتدور بهم .

الآية الثامنة قوله تعالى في سورة الرعد (وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وانهاراً) الآية قال ابن كثير أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وارساها بجبال راسيات شامخات .

وقال البغوي عند قوله تعالى (وجعل فيها رواسي) جبالا ثابتة واحدتها راسية .

وقال القرطبي عند قوله تعالى (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها راسية لأن الأرض ترسو بها أي تثبت والارساء الثبوت .

الآية التاسعة قوله تعالى في سورة الحجر (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي) الآية . قال البغوي على قوله (والأرض مددناها) بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت وقد كانت الأرض تميد إلى ان ارساها الله بالجبال .

الآية العاشرة قوله تعالى في سورة فصلت (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) الآية . قال البغوي (وجعل فيها) أي في الأرض (رواسي) جبالا ثوابت قال القرطبي واحدها راسية لأن الارض ترسو بها أي تثبت والارساء الثبوت .

الآية الحادية عشرة قوله تعالى في سورة . ق (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي) الآية قال البغوي على قوله (والأرض مددناها) بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسي) جبالا شوامخ .

وقال ابن كثير على قوله (والارض مددناها) أي وسعناها وفرشناها (والقينا فيها رواسي) وهي الجبال لئلا تميد باهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى في سورة المرسلات (ألم نجعل الأرض كفاتا . احياء وامواتاً . وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا) قال ابن كثير على قوله تعالى (وجعلنا فيها رواسي شامخات) يعني الجبال رسّى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب .

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى في سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها . متاعاً لكم ولا نعامكم) قال ابن كثير على قوله (والجبال ارساها) أي قررها واثبتها واكدها في اماكنها وهو الحكيم العليم . وقوله (متاعا لكم ولانعامكم) أي دحا الأرض فانبع عيونها واظهر مكنونها واجرى انهارها وانبت زروعها واشجارها وثمارها وثبت جبالها لتستقر باهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الانعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى ان ينتهي الامد وينقضي الأجل .

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى في سورة النبأ (ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال اوتادا) قال ابن كثير رحمه الله تعالى على قومه (ألم نجعل الأرض مهادا) أي ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال اوتادا) أي جعلها لها اوتادا ارساها

بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .
وقال القرطبي على قوله (والجبال اوتاداً) أي لتسكن ولا تتكفأ بأهلها .
وقال ابن منظور في لسان العرب واوتاد الأرض الجبال لأنها تثبتها .
الآية الخامسة عشرة قوله تعالى في سورة الزخرف (الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) قال ابن كثير على قوله (الذي جعل لكم الأرض مهدا) أي فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتتصرفون مع انها مخلوقة على تيار الماء لكنه ارساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا .
الآية السادسة عشرة قوله تعالى في سورة الذاريات (والأرض فرشناها فنعم الماهدون) قال ابن كثير أي جعلناها فراشاً للمخلوقات (فنعم الماهدون) أي وجعلناها مهداً لاهلها . وقال في البداية والنهاية . وقوله (وا لأرض فرشناها) أي بسطناها وجعلناها مهدا أي قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم وقال البغوي على قوله (والأرض فرشناها بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) الباسطون نحن . قال ابن عباس رضي الله عنهما نعم ما وطأت لعبادي .
الآية السابعة عشرة قوله تعالى في سورة البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) الآية قال ابن كثير رحمه الله تعالى شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية الوهيته بانه تعالى هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم إلى الوجود واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الأرض فراشاً أي مهدا كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات . والسماء بناء وهو السقف . قال ومن اشبه آية بهذه الآية قوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم) الآية . قال ومضمونه انه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا يستحق ان يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) .
قلت وقد استدل الرازي بهذه الآية على سكون الأرض وثباتها وسياتي كلامه مع الادلة العقلية على ثبات الأرض ان شاء الله تعالى .
الآية الثامنة عشرة قوله تعالى في سورة نوح (والله جعل لكم الأرض بساطاً .

لتسلكوا منها سبلا فجاجا) قال البغوي على قوله (والله جعل لكم الأرض بساطاً) فرشها وبسطها لكم وقال ابن كثير أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها اين شئتم من نواحيها وارجائها واقطارها .

الآية التاسعة عشرة قوله تعالى في سورة الملك (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) قال ابن كثير رحمه الله تعالى ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الارض وتذليله اياها لهم بان جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال .

وقال القرطبي في تفسيره وقيل أي ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت تتكفأ متمايلة لما كانت منقادة لنا .

قلت قد زعم اهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين ان الأرض تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومتراً وانها تقطع في اليوم الوحد أكثر من خمسمائة ألف فرسخ . ولو كان الأمر على ما زعموه من سير الأرض بهذه السرعة الهائلة لما كانت ذلولا للخلائق ولا فراشاً ولا مهداً ولما استقر على ظهرها شيء من البناء والشجر فضلا عن الحيوانات وذلك لشدة مخرها للهواء وشدة صدم الهواء لوجهها . واعتبر ذلك بالطائرة النفاثة التي لا تبلغ في سرعة سيرها عشر عشر العشر مما زعموه في سرعة سير الأرض . هل يقول عاقل انه يمكن ان يستقر حيوان على ظهر الطائرة النفاثة وهي سائرة . كلاّ لا يقول ذلك عاقل أبداً . وإذا كان استقرار الحيوانات على ظهر الطائرة في حال سيرها مستحيلا فكذلك الاستقرار على ظهر الأرض لو كانت تسير بالسرعة الهائلة التي زعموها بطريق الاولى ولما كانت الارض ذلولا للخلائق وفراشاً ومهداً لهم دل ذلك على انها ثابتة ساكنة .

فهذه الآية والآيات الخمس قبلها من اوضح الادلة على سكون الارض وثباتها .

الآية العشرون قوله تعالى في سورة الملك (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) قال ابن كثير أي تذهب وتجيء وتضطرب .

وقال البغوي قال الحسن تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم وقال الراغب الاصفهاني

المور الجريان السريع يقال ماريمور موراً . قال (يوم تمور السماء موراً) ومار الدم على وجهه . والمور التراب المتردد بالريح وناقة تمور في سيرها فهي موارة .

وقال الجوهري والهروي وغيرهما من ائمة اللغة مار الشيء يمور موراً إذا جاء وذهب .

وقال ابن الأثير وفي حديث قس ونجوم تمور أي تذهب وتجيء قلت والمعنى في قوله تعالى (فإذا هي تمور) كالمعنى في قوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) قال مجاهد في تفسير هذه الآية تدور دورا . وقال الضحاك استدارتها وتحركها لامر الله وموج بعضها في بعض . قال ابن كثير وهذا اختيار ابن جرير انه التحرك في استدارة . قال وانشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الاعشى فقال .

كان مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لاريث ولاعجل

قلت ومثل ذلك قول كعب بن زهير في الريح .

عفته رياح الصيف بعدي بمورها ... وأبرته الجوزاء بالوبل والديم

وقال البغوي في تفسيره (يوم تمور السماء موراً) أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة . قال قتادة تتحرك . وقال عطاء الخراساني تختلف اجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب . والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب انتهى .

إذا علم هذا فآية سورة الملك دالة على ان الأرض قارة ساكنة لا تدور فتذهب وتجيء ولهذا امتن الله تبارك وتعالى على عباده بتذليلها لهم وحذرهم من عقوبته بان يخسف بهم الأرض ويجعلها تمور بهم . ولو كان الأمر على ما يزعمه اهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم من العصريين لكانت الأرض تمور دائماً كما تمور النجوم والسحاب والريح ولم يبق للتخويف بمورها فائدة .

الآية الحادية والعشرون قوله تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الأرض الاباذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم) .

الآية الثانية والعشرون قوله تعالى (أفلم يروا إلى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض او نسقط عليهم كسفاً من السماء) الكسف القطع .

الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى اخبارا عن مشركي قريش انهم قالوا (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) .

الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى اخبارا عن قوم شعيب انهم قالوا (فاسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين) .

الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الخمس على استقرار الارض وسكونها ان الله سبحانه وتعالى جعل الارض مركزاً للاثقال ومستقراً لما ينزل من السماء فلو سقطت السماء لوقعت على الأرض ولو سقط منها شيء لم يستقر الا في الأرض . ولو كانت الارض تجري وتدور على الشمس كما زعمه اهل الهيئة الجديدة لكانت الشمس هي المركز والمستقر للاثقال وهذا تكذيب للقرآن .

وقد قال الله تعالى (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت) .

وقال تعالى (إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت) .

قال البغوي وغيره في قوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض كما قال تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) .

وروى ابن أبي حاتم باسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبورا فيضرمها ناراً » وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي قلت ويشهد لهذا الأثر ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا مسدد حدثنا عبدالعزيز بن المختار حدثنا عبدالله الداناج قال حدثني أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » .

ورواه البزار عن إبراهيم بن زياد البغدادي عن يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت ابا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا

أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما فقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول وما ذنبهما . اسناده صحيح على شرط مسلم .

وروى الحافظ أبو يعلى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وثقوا .

قلت وحديث أبي هريرة رضي الله عنه يشهد له ويقويه .

وروى ابن ابي حاتم عن الشعبي انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول (وان جهنم لمحيطة بالكافرين (وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم .

وروى الإمام أحمد وابن جرير والحاكم في مستدركه عن يعلي بن امية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البحر هو جهنم » قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه . وفي الآيات من سورتي التكوير والانفطار مع هذه الأحاديث دليل على ان الأرض هي المركز والمستقر للاثقال وذلك يدل على سكونها وثباتها كما تقدم تقريره وفيها رد على أهل الهيئة الجديدة القائلين بحركة الأرض ودورانها وعلى من يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين .

فصل

وأما الأحاديث الدالة على استقرار الأرض وسكونها .

فالأول منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت » الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي .

وهذا الحديث نص في استقرار الأرض وسكونها .

الحديث الثاني عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم « ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه اربعين

او سبعين عاماً خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه » رواه الإمام أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي رواية لهما « ان الله عزّ وجلّ جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله تباك وتعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها) الآية » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وقد رواه ابن ماجه في سننه باسناد صحيح ولفظه « ان من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .

وهذا الحديث الصحيح من اقوى الادلة على ان الأرض قارة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها ابداً . وهذا مستفاد من النص على ان باب التوبة ثابت في ناحية المغرب لا يزايله ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله . ولو كان الامر على ما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الارض فتكون من ناحية المغرب تارة ومن ناحية المشرق اخرى وعلى مسامتة الرأس تارة وفي الجهة المقابلة لذلك اخرى وفيما بين هذه الجهات تارات بحسب دوران الارض وسيرها على حد زعمهم الكاذب وهذا ابطال للنص بغير دليل شرعي بل بمجرد الظنون الكاذبة والتوهمات الخاطئة .

الحديث الثالث . قال أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الأزرقي في اخبار مكة حدثني جدي عن سعيد بن سالم قال اخبرني ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البيت الذي في السماء يقال له الضراح وهو مثل بناء هذا البيت الحرام ولو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً » .

ورواه الطبراني فقال أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله

كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط وان له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة . يعني في الارض » .

قال ابن كثير وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدي وغير واحد .

وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه « هل تدرون ما البيت المعمور » قالوا الله ورسوله اعلم قال « فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » .

وروى ابن أبي حاتم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة » .

وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا ابو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قال لعلي رضي الله عنه ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً .

ثم رواه ابن جرير من حديث علي بن ربيعة وابي الطفيل ان ابن الكواء سال علياً رضي الله عنه عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً .

ورواه ابو الوليد الازرقي في اخبار مكة فقال حدثني جدي قال حدثني سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء علياً رضي الله عنه ما البيت المعمور قال هو الضراح وهو حذاء هذا البيت وهو في السماء السادسة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً وقال أيضاً حدثني أبو محمد قال حدثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا سفيان بن عيينة بنحوه الا انه قال في السماء السابعة وقال لا يعودون إليه أبدا إلى يوم القيامة . وقال أيضاً حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه انه وجد في التوراة بيتاً في السماء بحيال

الكعبة فوق قبتها اسمه الضراح وهو البيت المعمور يرده كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً .

قال الجوهري الضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس .

وقال ابن الاثير الضراح بيت في السماء حيال الكعبة ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهي المقابلة والمضارعة وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد ومن رواه بالصاد فقد صحف .

وقال ابن منظور في لسان العرب الضراح بالضم بيت في السماء بمقابل الكعبة في الأرض قيل هو البيت المعمور عن ابن عباس وفي الحديث الضراح بيت في السماء حيال الكعبة . ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهي المقابلة والمضارعة وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد .

وقال صاحب القاموس الضراح كغراب البيت المعمور في السماء الرابعة انتهى وقوله في السماء الرابعة غلط إما منه او ممن دونه من النساخ او الطابعين لأنه قد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان البيت المعمور في السماء السابعة والله اعلم .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما وما ذكرنا معه من الآثار المتعاضدة دليل على استقرار الأرض وسكونها . وهذا مستفاد من النص على ان الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء وإن البيت المعمور لو سقط لسقط على الكعبة .

ولو كان الامر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما كان البيت المعمور بحيال الكعبة ولو خر لم يخر عليها بل يخر على الشمس لانها هي المستقرة والمركز الذي تدور عليه الافلاك على حد زعمهم الكاذب . ويلزم على هذا تكذيب الحديث والآثار المذكورة ههنا بغير مستند صحيح .

الحديث الرابع عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وانه لم يحل لاحد قبلي وانما احل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية من طريقه ولبعضه شواهد في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأبي شريح الخزاعي رضي الله عنهم .

وفيه دليل على استقرار الأرض وسكونها وهذا مستفاد من النص على تحريم ما حيال حرم مكة من السماء . ولو كانت الأرض تدور كما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لما كان حرم السماء بحيال حرم الأرض في كل وقت بل يكون بحياله تارة وبحيال غيره تارات وهذا تكذيب للحديث بلا برهان .

الحديث الخامس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ان رصاصة مثل هذه واشار إلى مثل الجمجمة ارسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل » الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي هذا حديث اسناده حسن صحيح .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث على استقرار الأرض وثباتها ان الله تعالى جعل الأرض مركزاً للأثقال ومستقراً لما ينزل من السماء ولو كانت الأرض تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح .

وفي الحديث دليل آخر على استقرار الأرض وثباتها وذلك مستفاد من النص على على ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة . والنص شامل لوجه الأرض من جميع الجهات لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق ولم يخص جهة منها دون الجهة الأخرى فدل عموم النص على ان المسافة بين السماء والأرض خمسمائة سنة من كل جهة . وقد قرر الإمام ابو الحسين ابن المنادي ان بعدما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد ووافقه شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية وغيره على ذلك . وفي حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرنا دليل لما قالوه . وكذلك ما سيأتي من حديث أبي هريرة وابن مسعود والعباس وأبي سعيد رضي الله عنهم في تقدير المسافة بين السماء والأرض . وقد قرروا ايضاً ان السماء مستديرة وانها على مثال الكرة وانها محيطة بالأرض من جميع جهاتها وان الأرض كروية الشكل وهي في وسط كرة السماء وحكى غير واحد الاجماع على ذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى . وهذا مع النص على ان المسافة بين السماء والأرض خمسمائة سنة يدل على ان الأرض ثابتة لا تفارق موضعها .

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى أعلم ان الأرض قد اتفقوا

على انها كروية الشكل وهي في الماء باكثرها اذ اليابس السدس وزيادة بقليل . والماء ايضاً مقبب من كل جانب للأرض . والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا . وليس تحت وجه الأرض الا وسطها ونهاية التحت المركز فلا يكون لنا جهة بينة الا جهتان العلو والسفل وانما تختلف الجهات باختلاف الإنسان . فعلو الأرض وجهها من كل جانب واسفلها ما تحت وجهها . ونهاية المركز هو الذي يسمى محط الاثقال . فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطاً ومنه إلى وجهها صعودا . وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية وكذا الباقي . والكرسي فوق الافلاك كلها والعرش فوق الكرسي . ونسبة الافلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة .

والافلاك مستديرة بالكتاب والسنة والاجماع فان لفظ الفلك يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى (كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس في فلكة كفلكة المغزل . ومنه قولهم تفلك ثدي الجارية إذا استدار . واهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك وقال الشيخ ايضاً . السموات مستديرة عند علماء المسلمين وقد حكى اجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء ائمة الإسلام مثل أبي الحسين احمد بن جعفر بن المنادي احد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائة مصنف . وحكى الاجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم وابو الفرج ابن الجوزي . وروى العلماء ذلك بالاسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية وان كان قد اقيم على ذلك أيضاً دلائل حسابية . ولا اعلم في علماء المسلمين المعروفين من انكر ذلك الا فرقة يسيرة من أهل الجدل لما ناظروا المنجمين فافسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الاحوال والتأثير خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب وقالوا على سبيل التجويز يجوزان تكون مربعة او مسدسة أو غير ذلك ولم ينفوا ان تكون مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك وما علمت من قال انها غير مستديرة وجزم بذلك الا من لا يؤبه له من الجهال .

ومن الادلة على ذلك قوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق

النهار وكل في فلك يسبحون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف في فلكة مثل فلكة المغزل . وهذا صريح بالاستدارة والدوران . واصل ذلك ان الفلك في اللغة هو الشيء المستدير يقال تفلك ثدي الجارية إذا استدار ويقال لفلكة المغزل المستديرة فلكة لاستدارتها . فقد اتفق أهل التفسير واللغة على ان الفلك هو المستدير . والمعرفة لمعاني كتاب الله انما تؤخذ من هذين الطريقين . من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف . ومن اللغة التي نزل القرآن بها وهي لغة العرب .

وقال تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) قالوا والتكوير التدوير يقال كورت العمامة إذا دورتها . ويقال للمستدير كارة واصله كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا . ويقال ايضاً كره واصله كورة وانما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبة وقله .

والليل والنهار وسائر احوال الزمان تابعة للحركة فان الزمان مقدار الحركة قائمة بالجسم المتحرك . فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفاً بالاستدارة كان الجسم اولى بالاستدارة .

ثم ذكر الشيخ ما يدل على استدارة الافلاك إلى ان قال — والحس مع العقل يدل على ذلك فانه مع تامل دوران الكواكب القريبة من القطب في مدار ضيق حول القطب الشمالي ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مداروا سع وكيف يكون في أول الليل وفي آخره يعلم ذلك . وكذلك من رأى حال الشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها في الاوقات الثلاثة على بعد واحد وشكل واحد ممن يكون على ظهر الأرض علم انها تجري في فلك مستدير وانه لو كان مربعاً لكانت وقت الاستواء اقرب إلى من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب . وأما من ادعى ما يخالف الكتاب والسنة فهو مبطل في ذلك وان زعم ان معه دليلا حسابياً .

وقال الشيخ ايضاً . قد ثبت بالكتاب والسنة واجماع علماء الامة ان الافلاك مستديرة — ثم ذكر الادلة على ذلك من الكتاب والسنة وقد تقدم ذكر بعضها في كلامه الذي ذكرنا قبل هذا . إلى ان قال — واما اجماع العلماء فقال اياس بن معاوية الإمام المشهور قاضي البصرة من التابعين ، السماء على الأرض مثل القبة .

وقال الإمام ابو الحسين احمد بن جعفر بن المنادي من اعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية من الطبقة الثانية من اصحاب احمد .
قال وكذلك اجمعوا على ان الارض بجميع اجزائها من البروالبحر مثل الكرة . قال ويدل عليه ان الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد بل على المشرق قبل المغرب . قال فكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الدائرة . يدل على ذلك ان جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد فاضطرار ان تكون الأرض وسط السماء انتهى وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية . حكى ابن حزم وابن المنادي وابو الفرج ابن الجوزي وغير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات كرة مستديرة .

وقال أيضاً في تفسير سورة الرعد عند قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) الآية يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه انه الذي باذنه وامره رفع السموات بغير عمد بل باذنه وامره وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لا تنال و يدرك مداها . فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وارجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء . وبعد ما بينها وبين الارض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام . ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام وسمكها خمسمائة عام . وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة انتهى .

والمقصود ههنا ذكر الاجماع على ان السموات مستديرة وذكر الاجماع على ان الأرض مثل الكرة وبيان انها مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الدائرة . وقد تقدم النص على ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهذا يدل على ان الأرض قارة ثابتة . ولو كانت الشمس هي القارة الثابتة وكانت الأرض تدور عليها كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لما كان بين الأرض وبين السماء مسيرة خمسمائة سنة من جميع الجهات بل تكون جهة منها اقرب إلى السماء من الجهة الأخرى بمسافة بعيدة على قدر سعة الفلك الذي تدور فيه على حد زعمهم . وهذا باطل قطعاً . ونص حديث عبد الله بن

عمرو رضي الله عنهما مع نصوص الاحاديث التي تأتي ترد هذا الرعم الكاذب .
وايضاً فلو كانت الشمس قارة ساكنة والأرض تدور عليها لكانت الشمس هي المركز وكانت الأرض اقرب إلى السماء من الشمس وهذا باطل قطعاً لان الشمس في السماء بنص القرآن قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) .

وأما الارض فبعيدة من السماء كما يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي ذكرنا وما يأتي من حديث أبي هريرة وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم في تقدير المسافة بين السماء والأرض بخمسمائة سنة وإذا كانت الشمس في السماء فمحال ان تدور الأرض عليها لانها لو كانت تدور عليها لكانت تخترق السموات وهذا لا يقوله عاقل .

الحديث السادس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك سمائين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ما بين كل سمائين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السمائين » الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ابي حاتم والبزار وقال الترمذي هذا حديث غريب .

الرقيع السماء قال ابن الاثير فيه انه قال لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع ارقعة يعني سبع سموات وكل سماء يقال لها رقيع

والجمع ارقعة . وقيل الرقيع اسم سماء الدنيا فاعطى كل سماء اسمها انتهى .

الحديث السابع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال « ما بين كل سماء إلى الاخرى مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم اعمالكم » رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد باسناد صحيح على شرط مسلم .

ورواه ايضاً من وجه آخر ولفظه « ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وبصر كل سماء خمسمائة – يعني غلظها – » وذكر بقيته بنحوه .

وقد رواه الطبراني في الكبير بنحو الرواية الاولى قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح .

وهذا الحديث له حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الراي وانما يقال عن توقيف .

الحديث الثامن عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والارض قال قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية او عال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض والله تبارك وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شيء) رواه الإمام أحمد والبغوي بهذا اللفظ .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في كتاب التوحيد والحاكم في مستدركه عن العباس رضي الله عنه قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان . قال أبو داود لم اتقن العنان جيداً . قال صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما بعدها بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما إما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك

حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة بحر بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » هذا لفظ أبي داود ونحوه رواية الترمذي وابن ماجه . ورواية ابن خزيمة والحاكم مختصرة . وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

وهذه الرواية مخالفة لرواية الإمام احمد والبغوي وما قبلها من حديث عبد الله بن عمرو وابي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم وما سيأتي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في مقدار المسافة بين السماء والأرض . وقد جمع بين الروايتين غير واحد من العلماء منهم ابن خزيمة في كتاب التوحيد وابن القيم في تهذيب السنن والذهبي .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى وأما اختلاف مقدار المسافة في حديثي العباس وأبي هريرة رضي الله عنهما فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر فان المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها . فسير البريد مثلا يقطع بقدر سير ركاب الابل سبع مرات . وهذا معلوم بالواقع فما تسيره الابل سيراً قاصداً في عشرين يوماً يقطعه البريد في ثلاثة فحيث قدر النبي صلى الله عليه وسلم بالسبعين اراد به السير السريع سير البريد وحيث قدر بالخمسمائة اراد به السير الذي يعرفونه سير الابل والركاب فكل منهما يصدق الآخر ويشهد بصحته ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

وقال الذهبي لا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلا . ونيف وسبعون سنة على سير البريد لأنه يصح ان يقال بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة وثلاثة أيام باعتبار سير البريد انتهى .

الحديث التاسع عن ابي سعيد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال « ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وقال الترمزي هذا حديث حسن غريب .

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه والاحاديث الثلاثة قبله دليل عل استقرار

الارض وثباتها وقد تقدم ايضاح ذلك في الكلام على حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو الحديث الخامس فليراجع .

الحديث العاشر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن » الحديث رواه البخاري.

الحديث الحادي عشر عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » الحديث رواه الإمام احمد ومسلم والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

الحديث الثاني عشر عن أبي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها » الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني . قال الهيثمي ورجال احمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد .

الحديث الثالث عشر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس » الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه . وقال الهيثمي اسناد الطبراني جيد .

الحديث الرابع عشر عن المقدام رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تدنو الشمس يوم القيامة حتى تكون من الناس قدر ميل ويزاد في حرها » الحديث رواه الطبراني .

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس » الحديث رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذي .

الحديث السادس عشر عن سلمان رضي الله عنه قال « تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس » الحديث رواه الطبراني . قال المنذري واسناده صحيح وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح . قلت وله حكم المرفوع لان مثله

لا يقال من قبل الراي وانما يقال عن توقيف وهذه الأحاديث السبعة وان كانت من اخبار يوم القيامة ففيها دليل على ان الأرض قارة ثابتة لا تفارق موضعها . ولو كانت الشمس هي القارة الثابتة لكانت الأرض هي التي تدنى منها وهذا خلاف نصوص هذه الأحاديث والله أعلم .

فهذا ما يسره الله تعالى من الآيات والأحاديث الدالة على ان الشمس تسير وتدور على الأرض وان الأرض قارة ثابتة بخلاف ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة من ان الشمس قارة ثابتة وان الأرض تدور عليها . وحقيقة قولهم تكذيب الآيات والأحاديث التي ذكرنا واطراحها بالكلية وذلك هو الضلال البعيد . وقد قال الله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى الكافرين (. وقول أهل الهيئة الجديدة في الشمس والأرض دائر بين افتراء الكذب والتكذيب بالحق .

ومن اعجب العجب انه قد جعل في زماننا من الفنون المهمة التي تدرس في كثير من المدارس ويعتنى بها في كثير من الأقطار الإسلامية أكثر مما يعتنى بالعلوم الشرعية .

وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويثبت الجهل » الحديث متفق عليه .

وفي رواية « من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل » . ولهما عن عبد الله بن مسعود وابي موسى رضي الله عنهما قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم » الحديث .

وقال الشعبي لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا والجهل علماً . رواه ابن أبي شيبة وله حكم المرفوع لأنه اخبار عن امر غيبي ومثله لا يقال من قبل الرأي وانما يقال عن توقيف ومن اقبح الجهل واظلم الظلم تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعارضة الآيات والأحاديث الصحيحة بأقوال اعداء الله تعالى وتخرصاتهم الكاذبة وآرائهم الفاسدة وتوهماتهم الخاطئة وتعلم ذلك وتعليمه .

وقد اخبرني غير واحد من الطلبة في بعض المعاهد ان بعض معلميهم من ذوي الجهل المركب صرح عندهم بما يعتقده من استقرار الشمس ودوران الأرض حولها . فقال

له الطلبة ما تقول في قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وقوله تعالى (وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) وامثال هذه الآيات . فقال القرآن حق . فقالوا له يلزمك على هذا ان تعتقد جريان الشمس فابى فطالبوه بالدليل على قوله فقال هكذا تلقينا من علمائنا .

فانظر يا من نور الله قلبه بنور العلم والايمان إلى جواب هذا المخدوع المغرور بزخارف اعداء الله وشبهاتهم . واحمد الله الذي عافاك مما ابتلى به المنحرفين المكذبين لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة تقليدا منهم لاعداء الله تعالى من الكفار والمنافقين الذين أسسوا بنيانهم على شفا جرف هارٍ ينهار بمن تمسك به في نار جهنم .

وما اشبه هذا الذي ذكرنا جوابه ومن جرى مجراه بالذين قال الله تعالى فيهم (الم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) .

فاحذروا ايها المسلمون من الاصغاء إلى د سائس اعداء الله تعالى والاغترار بزخارفهم وشبهاتهم فانهم لا يألونكم خبالا وودوا لو تكفرون بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة قال الله تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) الآية . وقال تعالى (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) . ففي هذه الآيات ابلغ تحذير للمسلمين من طاعة الكفار والمنافقين وقبول ارائهم وظنونهم وتخرصاتهم فانهم لا يألون المسلمين خبالا وودوا ما عنتهم واضلهم عن الصراط السوي والهدي .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى للمسلمين في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كفاية وغنية عما سواهما من اقوال الناس وآرائهم وتخرصاتهم قال الله تعالى (أو لم

يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (فإما ياتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما « من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب » رواه رزين .

وفي رواية قال « من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) » وقد ذكره البغوي في تفسيره بنحوه .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولها كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي » .

وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل » .

وفي رواية له اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا وإني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله عزَّ وجلَّ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة » .

ورواه الترمذي مختصراً ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء

إلى الأرض وعترتي أهل بيتي » الحديث قال الترمذي حديث حسن غريب .

وروى مسلم ايضاً وابو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديثه الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله » ورواه الترمذي بنحوه مختصراً .

وروى مالك في الموطأ بلاغاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » .

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع — فذكر الحديث وفيه انه قال « يا ايها الناس إني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابداً كتاب الله وسنة نبيه ». صححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى الحاكم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنة نبيه ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض » . وروى الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابداً » .

قال المنذري اسناد الطبراني جيد . وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

وروى الطبراني أيضاً في الكبير والصغير والبزار من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوه .

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا القران هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه » ورواه الطبراني والبغوي بنحوه موقوفاً .

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا أنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما

قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » الحديث . قال الترمذي غريب .

وقد رواه الامام احمد باسناد ضعيف ولفظه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أتاني جبريل عليه السلام فقام يا محمد ان امتك مختلفة بعدك قال فقلت فأين المخرج يا جبريل قال فقال كتاب الله تعالى به يقصم الله كل جبار من اعتصم به نجا ومن تركه هلك مرتين قول فصل وليس بالهزل لا تختلفه الالسن ولا تفنى أعاجيبه فيه نبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم » .

وروى الطبراني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو رواية الترمذي واسناده ضعيف .

وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال أبو الدرداء صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

وروى الامام أحمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بنحوه قال المنذري واسناده حسن .

واذا علم ما ذكرنا من الآيات والاحاديث في الحث على الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما فيها من النص على ان من تمسك بهما كان على الهدى ومن تركهما كان على الضلالة . فماذا يقال في الذين يعرضون عن ادلة الكتاب والسنة على جريان الشمس وثبات الارض واستقرارها ويتمسكون بأقوال أهل الهيئة الجديدة فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من ضعفاء البصيرة ويقدمونها على نصوص الكتاب والسنة .

الجواب ان يقال لا شك ان هذا ضلال عن الصراط المستقيم وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال أهل الكتاب كما سيأتي ايراده ان شاء الله تعالى . وغضب صلوات

الله وسلامه عليه على عمر رضي الله عنه غضباً شديداً لما رأى معه كتاباً استنسخه من بعض أهل الكتاب وكان فيه جوامع من التوراة . وكان عمر رضي الله عنه في خلافته يعاقب من يكتب مما عند اهل الكتاب اشد العقوبة .

قال الامام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا سريج بن النعمان أخبرنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال فغضب وقال « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه إلا ان يتبعني ».

فيه مجالد ضعفه ابن معين ويحيى بن سعيد والدار قطني وغيرهم ووثقه النسائي وغيره وروى له مسلم مقروناً بغيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

وروى البزار عن جابر رضي الله عنه قال نسخ عمر رضي الله عنه كتاباً من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل من الانصار ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم إما ان تكذبوا بحق او تصدقوا بباطل والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني » .

فيه جابر الجعفي تركه يحيى القطان وقال النسائي متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ما شككتم في شيء فلا تشكوا ان جابر الجعفي ثقة .

وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جوامع من التوراة اخذتها من أخ لي من بني زريق فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن زيد الذي أدى الاذان أمسخ الله عقلك ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله وبالاسلام دينا وبمحمد نبياً وبالقرآن اماماً فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم

اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالا بعيداً أنتم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين »
قال الهيثمي فيه أبو عامر القاسم بن محمد الاسدي ولم ار من ترجمه وبقية رجاله موثقون .

وروى الامام أحمد والطبراني عن عبد الله بن ثابت رضي الله عنه قال جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله يعني ابن ثابت فقلت ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « والذي نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم أنكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين » .

قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابر الجعفي وهو ضعيف .

قلت قد تقدم عن شعبة والثوري ووكيع أنهم وثقوه .

وروى البزار عن عبد الله بن ثابت الانصارى رضي الله عنه ان عمر رضي الله عنه نسخ صحيفة من التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا جابر الجعفي .

وروى الحافظ أبو يعلي الموصلي عن خالد بن عرفطة قال كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ أتـى برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر انت فلان بن فلان العبدي قال نعم قال وانت النازل بالسوس قال نعم فضربه بقناة معه قال فقال الرجل مالي يا أمير المؤمنين فقال له عمر أجلس فجلس فقرأ عليه (بسم الله الرحمن الرحيم . تلك آيات الكتاب المبين . أنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً فقال له الرجل مالي يا أمير المؤمنين فقال أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال مرني بأمرك اتبعه قال انطلق فامحه بالحميم والصوف الابيض ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحداً من الناس فلئن بلغني عنك انك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لانهكتك عقوبة ثم قال أجلس فجلس بين يديه فقال انطلقت فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم

جئت به في أديم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذا في يدك يا عمر » قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الانصار اغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح فجاءوا حتى احدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ايها الناس أني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا ولقد اتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون » قال عمر رضي الله عنه فقمت فقلت رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبك رسولا ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الهيثمي فيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي ضعفه احمد وجماعة .

قلت وقد روى له شاهد من وجه آخر عن سليم بن عامر ان جبير بن نفير حدثهم ان رجلين تحابا في الله بحمص في خلافة عمر رضي الله عنه وكانا قد اكتتبا من اليهود ملء صفنين فأخذاهما معهما يستفتيان فيهما امير المؤمنين وكان ارسل اليهما عمر رضي الله عنه فيمن ارسل اليه من أهل حمص فقالا يا امير المؤمنين أنا بأرض أهل الكتابين وانا نسمع منهم كلاماً تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منهم أم نترك قال لعلكما اكتتبتما منه شيئاً فقالا لا قال ساحدثكما اني انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيت خيبر فوجدت يهودياً يقول قولا اعجبني فقلت هل انت مكتبي مما تقول قال نعم قال فأتيته باديم ثنية أو جذعة فأخذ يملي علي حتى كتبت في الاكرع رغبة في قوله فلما رجعت قلت يا رسول الله أني لقيت يهودياً يقول قولا لم اسمع مثله بعدك قال لعلك كتبت منه قلت نعم قال ائتني به فانطلقت ارغب عن المشي رجاء ان اكون جئت نبي الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحبه فلما اتيت به قال أجلس فاقرأ علي فقرات ساعة ثم نظرت إلى وجهه فاذا هو يتلون فتحيرت من الفرق فما استطعت اجيز منه حرفاً فلما رأى الذي بي رفعه ثم جعل يتتبعه رسماً رسماً فيمحوه بريقه وهو يقول « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكو وتهوكوا » حتى محا آخره حرفاً . قال عمر رضي الله عنه فلو اعلم انكما اكتتبتما منهم شيئاً جعلتكما نكالا لهذه الامة قالا والله لا نكتب منهم شيئاً ابداً فخرجا بصفنيهما فحفرا لهما من الارض فلم يألوا أن يعمقا ودفناهما فكان آخر العهد منهما رواه الاسماعيلي

والطبراني وابو نعيم في الحلية من طريقه . قال الجوهري الصفن خريطة الراعي فيها طعامه وزناده وكذا ذكر ابن منظور في لسان العرب عن أبي عمرو انه قال الصفن بالضم خريطة تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج اليه . قال ابن منظور وقيل هي السفرة التي تجمع بالخيط وتضم صادها وتفتح . ونقل عن أبي عبيد انه قال سمعت من يقول الصفن بفتح الصاد والصفنة ايضاً بالتأنيث . وعن ابن الاعرابي الصفنة بفتح الصاد هي السفرة التي تجمع بالخيط ومنه يقال صفن ثيابه في سرجه إذا جمعها . وقال أبو عبيد الصفنة كالعيبة يكون فيها متاع الرجل واداته فاذا طرحت الهاء ضممت الصاد وقلت صفن .

وأما التهوك فقال الجوهري هو التحير قال والتهوك ايضاً مثل التهور وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة .

وقال ابن الاثير التهوك كالتهور وهو الوقوع في الامر بغير روية والمتهوك الذي يقع في كل امر وقيل هو التحير .

وقال ابن منظور التهوك السقوط في هوة الردى وانه لمتهوك لما هو فيه أي يركب الذنوب والخطايا والمتهوك الذي يقع في كل أمر .

وروى الاسماعيلي وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان نـــاس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكتبون من التوراة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان احمق الحمق واضل الضلالة قوم رغبوا عما جاء به نبيهم اليهم إلى نبي غير نبيهم وإلى امة غير امتهم » ثم انزل الله تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

واذا كان هذا قوله صلى الله عليه وسلم للذين كتبوا جوامع من التوراة مع ما ذكرنا عنه صلى الله عليه وسلم من الغضب على عمر رضي الله عنه لما رأى معه الكتاب الذي استنسخه من بعض أهل الكتاب ليزداد به علماً فكيف لو رأى الذين يرغبون عن نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بجريان الشمس وفيما يتعلــق بغيرها من الاجرام العلوية وبالسموات والارض ويقدمون عليها أقوال الفلاسفة الدهريين مثل كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من أهل الهيئة الجديدة الذين لا يعتملون في أقوالهم على

كتاب من الكتب المنزلة من السماء وانما يعتمدو ن على ارصادهم وآرائهم وتخرصاتهم التي ما انزل الله بها من سلطان . وما أكثر الذين يميلون إلى أقوالهم الباطلة في زماننا ويتلقونها بالقبول والتسليم ويرون انها هي العلم الصحيح وما خالفها فهو عندهم مردود ولو كان من نصوص الكتاب والسنة وكأنهم يرون ان القرآن انما انزل لمجرد التلاوة لا للعمل به واعتقاد ما جاء فيه . ولو ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى امثال هؤلاء لما كان يكتفي في عقوبتهم بالضرب فقط بل كان يقتلهم كما قتل الذي لم يرض بالتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن اين لنا الآن مثل عمر رضي الله عنه الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم .

وخلاصة القول أنه يجب على المسلم ان يتمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويعض عليهما بالنواجذ ويقدمهما على ما سواهما ولا يقدم عليهما شيئاً البتة . وان يكتفي بهما وبما عند المسلمين من العلوم النافعة المستفادة منهما ، ومن لم يكتف بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عند المسلمين من العلوم المستفادة منهما بل ذهب يطلب غير ذلك من أقوال الكفار والمنافقين وآرائهم وتخرصاتهم التي ما انزل الله بها من سلطان فابعده الله واسحقه .

فصل

في ذكر الاجماع على وقوف الارض وسكونها

ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني التميمي — وكان في آخر القرن الرابع من الهجرة وأول القرن الخامس — في آخر كتابه « الفرق بين الفرق » جملة مما اجمع عليه أهل السنة قال فيها .

وأجمعوا على وقوف الارض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية ان الأرض تهوي ابداً لأن الخفيف لا يلحق ما هو اثقل منه في انحداره .

واجمعوا على ان الارض متناهية الاطراف من الجهات كلها وكذلك السماء متناهية قول من زعم من الدهرية أنه لا نهاية للارض من اسفل ولا من اليمين واليسار ولا من خلف ولا من أمام وانما نهايتها من الجهة التي تلاقي الهواء من فوقها .

وزعموا ان السماء ايضاً متناهية من تحتها ولا نهاية لها من خمس جهات سوى جهة السفل . وبطلان قولهم ظاهر من جهة عود الشمس إلى مشرقها كل يوم وقطعها جرم السماء وما فوق الارض في يوم وليلة . ولا يصح قطع ما لا نهاية من المسافة في الامكنة في زمان متناه انتهى .

وقال القرطبي في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة الرعد (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً) الآية ما نصه .

والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان حركتها انما تكون في العادة بزلزلة تصيبها انتهى .

وهذا صريح في حكاية الاجماع من المسلمين وأهل الكتاب على ثبات الارض واستقرارها .

وقد قرر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « مفتاح دار السعادة » ان الارض واقفة ساكنة . وقرر ذلك غيره من اكابر العلماء . ولا أعلم عن أحد من سلف الامة وأئمتها خلافاً في ذلك . وانما خالف في ذلك أهـــل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج مثل كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما ومن نحا نحوهم من العصريين . فهؤلاء هم المخالفون في ثبوت الارض واستقرارها من المتأخرين .

وأما المخالفون في ذلك من المتقدمين فهم الدهرية وفيثاغورس واتباعه من اليونان . ولا عبرة بخلاف هؤلاء الذين اشرنا اليهم من المتقدمين والمتأخرين . ولا ينبغي للمسلم ان يغتر بأقوال اعداء الله ولا يصغي إلى تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ولا يعتد بأقوالهم الفاسدة وتوهماتهم الخاطئة .

ولا ينبغي أيضاً ان يصغى إلى أقوال الذين يقلدونهم ويحذون حذوهم من المسلمين .

فصل

في ذكر ادلة عقلية على ثبات الارض واستقرارهـــا

فمن ذلك ما هو مشاهد من سير السحاب المسخر بين السماء والارض فأنا نراه عندنا في البلاد النجدية في فصلي الشتاء والربيع واكثر فصل الخريف يأتي في الغالب مـــن المغرب ويذهب نحو المشرق . وفي بعض الاحيان يأتي من جهة الشمال ويذهب نحو الجنوب ويأتي أيضاً من جهة الجنوب ويذهب نحو الشمال وربما اتى من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب . وفي فصل الصيف وهو الذي تسميه العامة القيظ ليس له اتجاه معتاد بل يأتي من المشرق ومن المغرب ومن الجنوب ومن الشمال . وفي نواحي الحجاز يأتي في الغالب من جهة القطب الجنوبي ويذهب نحو القطب الشمالي وربما اتى من جهة المشرق وذهب نحو المغرب وبالعكس وربما اتى من جهة الجنوب وذهب نحو الشمال وبالعكس . وسيره من جميع الجهات متقارب لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة إلا بسبب ريح شديدة تسوقه ، ولو كانت الارض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لاختلف سير السحاب بسبب سير الارض ولكان اتجاهه دائماً إلى جهة المغرب بعكس سير الارض ولم يذهب إلى جهة المشرق ابداً لأن الأرض تفوته بسرعة سيرها . فقد زعم المتأخرون من أهل الهيئة الجديدة انها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومتراً وانها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمسمائة الف فرسخ .

ولما كان سير السحاب من جميع الجهات مقارباً بعضه بعضاً دل ذلك على ان الأرض قارة ساكنة .

ومن ذلك ما يسره الله تعالى في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الهواء في جميع أرجاء الأرض فان سيرها من المشرق إلى المغرب مثل سيرها من المغرب إلى المشرق وكذلك سيرها من الجنوب إلى الشمال مثل سيرها من الشمال إلى الجنوب كل ذلك لا يختلف .

ولو كان الأمر على ما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لكان من في المشرق إذا اراد المغرب رفع طائرته في الهواء ثم امسكها وقتاً يسيراً حتى تصل اليه اقطار المغرب فينزل فيها . وأما من في المغرب فلا يمكنه ان يسير إلى المشرق في مركب جوي ابداً لأنه إذا رفع طائرته عن الارض فاتته الارض بسرعة سيرها . هذا على حد زعمهم. وكذلك الذين في الجنوب والشمال لا بد ان تفوتهم الارض بسرعة سيرها فلا يهتدون إلى موضع قصدوه في مراكبهم الجوية .

ولما كانت هذه التقديرات منتفية وكان السير في الجو من الاقطار المتباينة مقارباً بعضه وطيرانها في اله اء وذهابها يمينا وشمالا ورج عها إلى أوكارها أو غيرها من الأشجار والمـ اضع التي تقع عليها كثيرا وهذا يدل على ثبات الأرض واستقرارها بعضاً دل ذلك على ان الأرض قارة ساكنة .

ومن ذلك ما هو مشاهد من نهوض الطيور من اوكارها أو غيرها مما هي واقعة عليه وطيرانها في الهواء وذهابها يميناً وشمالا ورجوعها الى اوكارها أو غيرها من الاشجار والمواضع التي تقع عليها كثيراً وهذا يدل على ثبات الارض واستقرارها ولو كانت تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما رجعت الطيور إلى اماكنها من الارض لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها .

ومثل ذلك الطائرات فانها تطير من المطارات وتذهب نحو المشرق والمغرب والجنوب والشمال وربما عرض لها عارض يمنعها من مواصلة السير إلى المواضع التي يقصدها أهلها فترجع إلى المواضع التي طارت منها بعدما تنأي عنها بمسافة بعيدة ، وهذا يدل على ثبات الارض واستقرارها ولو كانت الارض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما رجعت الطائرات إلى مطاراتها ابداً لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها .

ومن ذلك ما هو مشاهد من رمي الصيد والاهداف واصابتها ولو كانت الارض تسير كما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لما اصاب الرامي صيداً ولا هدفاً ولا سيما إذا كان الصيد أو الهدف بعيداً عنه لأنه إذا اطلق السهم أو الرصاص فاتته الارض بسرعة سيرها فلا يصيب السهم والرصاص ما وجهه الرامي نحوه .

ولما كانت اصابة الصيد والاهداف تقع من كثير من الرماة دل ذلك على ان الارض قارة ساكنة .

فان قيل ان الهواء تابع للارض يسير بسيرها فلا تفوت الارض إذا شيئاً مما يكون في الهواء فوقها .

فالجواب ان يقال هذا من ابطل الباطل لأن الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للأرض

قال الله تعالى في سورة الم تنزيل السجدة(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) الآية . وقال تعالى في سورة ق (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) الآية . وقال تعالى في سورة الدخان (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لا عبين) وقال تعالى في سورة الانبياء (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وقال تعالى في سورة ص (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا) الآية . وقال تعالى في سورة الحجر (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) الآية . وقال تعالى في سورة الاحقاف (ما خلقنا السموات الارض وما بينهما إلا بالحق واجل مسمى) الآية وقال تعالى في سورة ص (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) الآية . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للارض .

وكما ان كلا من السماء والأرض مستقلة بنفسها وليست تابعة للاخرى فكذلك الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للسماء ولا للأرض ولا يتصور ان يكون الهواء تابعاً لغيره إلا فيما يكون محجوزاً بالسقوف والجدر ونحوها كالهواء الذي يكون في داخل الطائرات والسيارات والمراكب ونحوها فانه يسير بسيرها بخلاف ما يكون فوق سطوحها فانه يكون تابعاً لها ولا يسير بسيرها كما هو معلوم عند كل عاقل . وما على وجه الارض من الهواء شبيه بما على ظهور الطائرات من الهواء فكما ان ماعلى ظهور الطائرات من الهواء لا يتبعها ولا يسير بسيرها فكذلك ما على ظهر الارض من الهواء لا يكون تابعاً لها والله أعلم .

وايضاً فلو كان الهواء تابعاً للأرض وسائراً بالسرعة الهائلة التي زعموها في سير الارض كما ذكرنا قولهم في ذلك قريباً فانه لا يستطيع الطير ولا الطائرات ان تسبح فيه وتذهب شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ثم ترجع إلى مواضعها من الارض . ولما كان الطير يطير إلى حيث شاء من الجهات ثم يرجع إلى موضعه الذي طار منه وكانت السائرات تسير على خطوط مستقيمة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ثم ترجع إلى المواضع التي طارت منها دل ذلك على ان الهواء ساكن لا يسير ولا يتحرك إلا أن تحركه ريح تهب فيه .

فصل

قال الرازي في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة البقرة (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) الآية ما نصه :

أعلم ان الله سبحانه وتعالى ذكر ههنا أنه جعل الأرض فراشاً . ونظيره قوله (أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا) وقوله(الذي جعل لكم الأرض مهدا) واعلم ان كون الارض فراشاً مشروط بأمور ، الشرط الاول كونها ساكنة وذلك لانها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالاستقامة أو بالاستدارة.فان كانت بالاستقامة لما كانت فراشاً لنا على الاطلاق لأن من طفر من موضع عال كان يجب ان لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية وذلك الانسان هاو والارض اثقل من الانسان والثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما اسرعهما والابطأ لا يلحق الاسرع فكان يجب ان لا يصل الانسان الى الارض فثبت انها لو كانت هاوية لما كانت فراشاً .

أما لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها لأن حركة الارض مثلا إذا كانت إلى المشرق والانسان يريد ان يتحرك إلى جانب المغرب ولا شك ان حركة الارض اسرع فكان يجب ان يبقى الانسان على مكانه وانه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد . فلما امكنه ذلك علمنا ان الارض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة فهي ساكنة انتهى .

فصل

وقد ذكر الالوسي عن فيثاغورش واتباعه أهل الهيئة الجديدة انهم قالوا ان الارض سابحة في الجو معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها .

ونقول أما قولهم ان الارض سابحة في الجو فهذا باطل ترده الآيات والاحاديث الدالة على سكون الارض وثباتها . ويرده ايضاً اجماع المسلمين على ثبات الارض وسكونها . وقد تقدم كل ذلك فليراجع وأما قولهم إنها معلقة بسلاسل الجاذبية فهذا باطل يرده قول الله تعالى (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وقوله تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) فالسماء قائمة بأمر الله تعالى وإمساكه لها من غير عمد والأرض قائمة بأمر الله تعالى وإمساكه لها من غير سلاسل

وقد جعل الله تبارك وتعالى الارض مركزاً ومستقراً للاثقال من جميع جهاتها . فلو سقط من السماء شيء ثقيل من أي جهة كانت لما استقر إلا في الارض . وكذلك ما يسقط من الاثقال مما بين السماء والارض فمقره الارض . وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلى المركز في جوف الارض وهو وسط الارض السابعة السفلى .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد ان ساق عدة احاديث في اثبات سبع ارضين قال فهذه الاحاديث كالمتواترة في اثبات سبع ارضين والمراد بذلك ان كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الاثقال اليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع .

وقال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى . وقال أيضاً ما يهبط من أعلى الأرض إلى اسفلها وهو المركز لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز .

وقال الشيخ أيضاً أهل الهيئة يقولون لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية ارجلنا والقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز حتى لو القي من تلك الناحية حجر آخر لا لتقيا جميعاً في المركز ولو قدر ان انسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت صاحبه بل كلاهما فوق المركز انتهى .

والدليل على ان الارض هي المركز الذي ينتهي اليه ما يهبط من السماء قول الله تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الأرض إلا باذنه) وقوله تعالى (افلم يروا إلى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفاً من السماء) وقوله تعالى أخباراً عن مشركي قريش أنهم قالوا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) وقوله تعالى أخباراً عن قوم شعيب أنهم قالوا (فاسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين) والكسف القطع . وقوله تعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) .

وروى الامام أحمد والترمذي وابن جرير والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ان رصاصة مثل هذه واشار إلى مثل الجمجمة ارسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل » الحديث . قال الترمذي هذا حديث اسناده حسن صحيح .

وروى الطبراني والازرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط سقط عليه » واذا كانت الأرض مركزاً ومستقراً للاثقال من جميع جهاتها فمفارقتها لموضعها ممتنع فضلا عن دورانها عل الشمس لانها لو كانت تدور على الشمس لكانت تصعد في الجو مع عظم ثقلها وانتفى كونها مركزاً ومستقراً للاثقال . وهذا باطل ترده الآيات التي تقدم ذكرها مع حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وترده أيضاً المشاهدة والمحسوس الذي يعرفه كل عاقل من كون الأرض مستقراً للاثقال من جميع نواحيها .

وهذا يدل على أنها قارة ثابتة لا تفارق موضعها والله أعلم .

فصل

واذا علم ما ذكرنا من الآيات والاحاديث الدالة على جريان الشمس وسكون الأرض واستقرارها وما ذكرنا أيضاً من الاجماع على وقوف الأرض وسكونها فأنا نتحدى الصواف وأشباهه من العصريين المفتونين بأقوال أهل الهيئة الجديدة ان يأتوا بنص واحد من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعارض ما ذكرنا من الادلة . ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا البتة . وغاية ما يعتمدون عليه ما روجه أهل الهيئة الجديدة من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة واقوالهم الباطلة التي تخالف مدلول الكتاب والسنة واجماع المسلمين . ومن نبذ الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع المسلمين وراء ظهره واعتمد على ما خالفها من زخارف اعداء الله تعالى وظنونهم فهو مصاب في دينه وعقله .

العلم قال الله قـــال رسولــــه قال الصحابة هم أولـــو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهــــة بين الرسول وبين رأي فـــلان

وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين. كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز) .

فصل

وقد صرح بعض المحققين بتكفير من يقول بحركة الأرض وسيرها . قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه « المسائل الكافية . في بيان وجوب صدق خبر رب البرية » بعد الخطبة ما ملخصه .

أما بعد فيقول اسير ذنبه المفتقر لعفو ربه محمد بن يوسف المعروف بالكافي أنه ضمنا مجلس في منزل الفاضل شيخ القراء الشيخ محمد سليم الحلواني يوم الاضحى من سنة ١٣٥١ المنصرمة فسألني بعض الحاضرين عن حكم من يقول بحركة الارض وسيرها فأجبته بأنه كافر فقال لي وبماذا تكفره فقلت له لتكذيبه الله تعالى في خبره لأن الله سبحانه وتعالى أخبر في عدة آيات بعدم تحركها والله سبحانه وتعالى يستحيل عليه الكذب وما في معناه . فاستعظم الحاضرون مني ذلك وقالوا التكفير بعيد لأنه يلزم عليه تكفير كثير من الناس . وكان من جملة الحاضرين شيخ كبير فقال التكفير دونه خرط القتاد . والذي يظهر لي أنه تلفظ بهذه الجملة ولم يفقه معناها فخطر ببالي بعد انصرام المجلس ان اجمع مسائل رأيت بعضها منصوصاً وسمعت البعض الآخر وكلها على خلاف عقائد المسلمين من حيث ان فيها تكذيب خبر رب العالمين تعالى عن ذلك علواً كبيراً . وان ابين الحق فيها الذي يجب اعتقاده . وذكرت قبل المسائل تتمات يحتاج اليها الناظر في المسائل . ثم قال .

(التتمة الاولى) متعلقة بالقرآن العظيم من حيث أنه قرآن عربي غير ذي عوج فلا يعدل في بيان مفرداته وجمله عما يقتضيه لسان العرب فمن عدل به عن ذلك فقد ألحد في آيات ربه .

(التتمة الثانية) ان ما اكتبه هو نقل صريح بحت لا دخل للعقل فيه ولا للتخمين ايضاً فمن كان له ساعد قوي واراد معارضتي في شيء مما اكتبه فليعارضني بنقل صريح من مادة ما انقله . اعني إذا ذكرت آية أو حديثاً أو قول بعض العلماء . فليعارضني بآية أو حديث أو قول بعض العلماء على سبيل اللف والنشر المرتب .

وأما إذا ذكرت آية أو حديثاً وعارضني بقول أحد العلماء مجرداً عما يعضده من آية أو حديث فمعارضته مردودة عليه لا يصغي اليها ولا ينظر فيها .

(التتمة الثالثة) ان مرادي بما اكتبه هو تنبيه وايقاظ من يكون في اعتقاده شك أو ريب فيما يعتقده المسلمون . والحال ان اصوله مسلمون ولكن لتربيته على يد غير المسلمين أو لمطالعته كتب غير المسلمين اكتسب هذا الاعتقاد المخرج له عن دائرة الاسلام فلعله إذا اطلع على ما انقله واسطره يرجع إلى حوزة الاسلام ويكون فرداً من افراد المسلمين وما ذلك على الله بعزيز .

(التتمة الرابعة) اتفق العلماء على ان من قال قولا أو اعتقد اعتقاداً يوجب تكذيب الله تعالى في خبره كحركة الأرض وسيرها المخبر الله تعالى بعدم حركتها أو قال أو اعتقد أن السماء جو وفضاء لا بناء المخبر الله تعالى بأنها بناء شديد وسقف محفوظ لا يحكم عليه بالكفر بمجرد ذلك بل يحكم عليه إذا وقف على عقيدة المسلمين في تلك العقيدة أو العقائد وعاند ولم يرجع إلى معتقد المسلمين .

ثم شرع الشيخ الكافي في ذكر المسائل إلى ان قال :

(المسألة الموفية عشرين) الأرض من حيث حركتها وسكونها عقيدة المسلمين الذين لم تشرب قلوبهم حب أهل الكفر انها ساكنة وثابتة ومرساة بالجبال كارساء البيت بالاوتاد وكارساء السفن في مرساها لربطها بالحبال في الاوتاد أو انزال المخاطيف الهائلة من الحديد فتنزل في الارض فتكون لها كالاوتاد للبيت أو يجعل فيها الاجرام الثقيلة لتثقل بها حتى لا يمتد في مرساها أي لا تتحرك يميناً وشمالاً ولا اماماً ولا خلفاً وهذا هو الذي أراد الله تعالى في ارساء الارض بالجبال بحيث لا تتحرك اصلا أي لا حركة منتظمة ولا غير منتظمة . قال الله تعالى ممتنا على عباده (وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم) ومعلوم أن القرآن نزل بلسان العرب . وتقدم في التتمات ان من أخرج مفرداته وجمله

عما يقتضيه لسانهم فقد الحد في آيات ربه تعالى في مختار الصحاح ماد تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد الرجل تحرك .

وفي القاموس ما د يميد ميداً وميداناً تحرك وزاغ وزكا والسراب اضطرب والرجل تبختر ا هـ محل الحاجة منه .

في المختار مار من باب قال تحرك وجاء وذهب ومنه قوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) قال الضحاك تموج موجاً . وقال أبو عبيدة والاخفش تكفأ .

في القاموس والمور الموج والاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك .

في المختار ماج البحر من باب قال اضطربت أمواجه .

في القاموس الموج اضطراب أمواج البحر .

في القاموس واضطرب تحرك وماج .

في المختار رسا الشيء ثبت وبابه عدا ومرسى أيضاً بفتح الميم ورست السفينة وقفت على الانجر وبابه عدا وسما .

قلت قال الازهري في نجر الانجر مرساة السفينة وهو اسم عراقي وقوله تعالى (بسم الله مجراها ومرساها) سبق في جرى . والمرساة التي ترسى بها السفن تسميه الفرس لنكر . والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية .

في القاموس رسا رَسْوا ورُسُوا ثبت كارسي والسفينة وقفت على الانجر وارسيته ، وقال والمرساة انجر السفينة ، وقال والقت السحاب مراسيها استقرت . وقال وقدور راسية لا تبرح مكانها لعظمها ا هـ .

وقال تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتادا) في القاموس الوتد وبالتحريك وككتف مارز في الارض أو الحائط من الخشب . وقال واوتاد الأرض الجبال ا هـ .

فالسفينة إما جارية وإما راسية ولا واسطة بين الحالتين لها .

واخرج ابن جرير عن الضحاك في تفسير قوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) الآية . قال كان إذا أراد ان ترسى قال بسم الله فارست وإذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت ، في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في

قوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) قال تحرك .

واخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله (يوم تمورالسماء موراً) قال تدور دوراً ا هـ .

وفي الدر المنثور على قوله تعالى (والقي في الارض رواسي) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من طريق قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال ان الله لما خلق الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هذه بمقرة احداً على ظهرها فأصبحت صبحاً وفيها رواسيها فلم يدروا من اين خلقت ا هـ محل الحاجة .

وفيه أيضاً واخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى في سورة لقمان (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) قال حتى لا تميد بكم كانوا على الأرض تمور بهم لا يستقر بها فأصبحوا صبحاً وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتاداً في الارض ا هـ .

في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في سورة والنازعات (والجبال ارساها) أوتدها .

وفيه أيضاً في تفسير سورة النبأ (والجبال أوتاداً) لها لكي لا تميد بهم .

وفيه أيضاً في تفسير سورة النحل على قوله تعالى (والقي في الارض رواسي) الجبال الثوابت (ان تميد) لكي لا تميد (بكم) الأرض ا ه .

والعرب لا تفهم من الاوتاد الا ثبوت ما ربط بها ولامن الارساء إلا ثبوت المرسى بها.

وسأذكر عقيدة داروين في الارض وفي آدم عليه الصلاة والسلام . قال أبو السعود على قوله تعالى (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت في احيازها وهو ثبات الاجسام الثقيلة .

وقال في قوله تعالى (والقى في الارض رواسي) أي جبالا ثوابت (ان تميد بكم) كراهة ان تميد بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم فان الأرض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد ، وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد ارسيت بالجبال أ هـ .

قال الرازي على قوله تعالى (والقي في الارض رواسي ان تميد بكم) أي جبالا راسية ان تميد بكم أي كراهة ان تميد بكم . وقيل المعنى ان لا تميد بكم .

واعلم ان الارض ثباتها بسبب ثقلها والا كانت تزول عن موضعها بسبب الماء والرياح ولو خلقها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما ترى الأرض الرملية ينتقل الرمل الذي فيها من موضع إلى موضع .

ثم قال تعالى (وبث فيها من كل دابة) أي فلكون الأرض فيها مصلحة حركة الدواب اسكنا الارض وحركنا الدواب ولو كانت الأرض متزلزلة وبعض الاراضي لا يناسب بعض الحيوانات لكانت الدابة التي تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك الدواب . أما إذا كانت الأرض ساكنة والحيوانات متحركة تتحرك في المواضع التي تناسبها وترعى فيها وتعيش فيها فلا ا ه .

وقال في سورة الانبياء (المسألة الثانية) الرواسي الجبال والراسي هو الداخل في الارض « المسألة الثالثة » قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الارض بسطت على الماء فكانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة لانها بسطت على الماء فارساها الله بالجبال الثقال ا ه .

قال مفتي الثقلين في سورة النبأ (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً) لما ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد ا ه .

وقال في سورة والنازعات . والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها أي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد بأهلها . وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه ما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها الارض ا ه .

قال البيضاوي في سورة الرعد (وهو الذي مد الارض) بسطها طولا وعرضاً تثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت جمع راسية . وقال في سورة النحل (والقي في الارض رواسي) جبالا رواسي (ان تميد بكم) كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو أن تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها

وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة . وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد ارسيت بالجبال ا ه .

فمن قال واعتقد أنها متحركة وسائرة بانتظام تقليداً لداروين ولمن كان على مذهبه وتاركاً لعقيدة المسلمين واستمر مصمماً عل ذلك يكفر لتكذيبه الله تعالى في خبره (والجبال ارساها) (والجبال اوتاداً) .

ثم قال الشيخ الكافي .

(المسألة الحادية والعشرون) أذكر فيها ما كتبته في «الاجوبة الكافية . على الاسئلة الشامية» ورددت به مقالة في منار رشيد وادرج فيها ما قاله داروين في شأن الأرض وفي شأن آدم عليه الصلاة والسلام .

قال صاحب المناو في صفحة ٥٧٧ من الجزء الرابع عشر «علم الفلك والقرآن . نظرة في السموات والارض» . وفي صفحة ٥٥٨ «ما هي هذه الأرض التي نعيش عليها . هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشمس وتسمى بالسيارات .

أقول يعتقد صاحب هذا الكلام ان الارض متحركة طائفة بمركز الشمس وليست راسية . ومائلة وليست بثابتة . وسابحة وليست موثقة بالجبال ، وهذا مذهب داروين الطبيعي ومن تبعه كأصحاب هذه المجلة .

قال داروين في كتاب النشو والارتقاء في صفحة ٢٣٨ ان الاوهام التي تقاضت الانسان حياته زمناً طويلا وكانت أعظم أسباب شقائه ودواعي عنائه اثنان عظيمان وهما . أولا اعتقاده القديم في الأرض أنها مركز تدور حوله الافلاك . وثانياً اعتقاده في نفسه أنه من اصل سماوي فاهبطه الخالق من فسيح جنانه ولم ذا ، واسكنه ضيق ارضه — إلى ان قال — ومنها ارضنا المتحركة حول مركز الشمس خلافاً لمن يظن ان الأرض ثابتة والشمس تدور حولها خدمة لها ا ه .

واعتقاد المسلمين كافة بأن الارض ثابتة تبعاً لما امتن الله به علينا بقوله سبحانه وتعالى في سورة لقمان (خلق السموات بغير عمد تر ونها والقي في الأرض رواسي ان تميد بكم) أي لئلا تميد بكم .

وفي عم يتساءلون (ألم نجعل الارض مهاداً . والجبال أوتاداً) وفي النازعات (والارض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها) وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الارض وعدم تحركها

في مختار الصحاح ماد الشيء تحرك . وفي القاموس ماد يميد ميداً وميداناً تحرك وزاغ . وفيه رسا رسوا ثبت كارسي .

فالله سبحانه وتعالى أخبر بثبوتها وعدم تحركها وطوافها حول مركز الشمس . وداروين ومن تبعه اخبروا بحركتها وطوافها حول مركز الشمس . فمن هو العالم بوصفها الحقيقي . الجواب . الله (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) . فمن الصادق في خبره ، الجواب . الله الصادق (ومن اصدق من الله حديثاً) .

فاذا ثبت هذا فمن الواجب اتباعه في خبره . الجواب اتباع خبر الله تعالى لأن خبره صدق يستحيل عليه الكذب وما في معناه وطرح خبر الغير وراء الظهر .

ومعتقد خلاف دين المسلمين كافر بلا ريب . ثم اتل قوله سبحانه وتعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) .

ثم قال الشيخ الكافي :

(المسألة الثانية والعشرون) في تحقيق ان من قال بحركة الأرض يعد مكذباً الله تعالى في خبره عقلا ايضاً وذلك ان الوصفين إما أن يكون بينهما التماثل كالبياض وبياض آخر . وإما أن يكون بينهما مطلق المغايرة كالقيام والضحك . واما أن يكون بينهما التضاد . وإما أن يكون بينهما التناقض . فالمثلان لا يحتاجان إلى تعريف . واما الخلافان فحقيقتهما هما اللذان يجتمعان كأن يكون الشخص قائماً يضحك . ويرتفعان كأن يكون جالساً يبكي ، وأما الضدان فهما الامران الوجوديان كالبياض والسواد لا يجتمعان كأن يكون الشيء ابيض اسود في آن واحد ، وقد يرتفعان كأن يكون الشيء اصفر واخضر مثلاً . وأما النقيضان فهما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان ولا يرتفعان بل أحدهما ثابت ولا بد وذلك كزيد قائم ، زيد ليس بقائم . أو الارض ساكنة ، الارض ليست بساكنة . او الارض متحركة . الارض ليست بمتحركة ، فاذا صدق

أحد المتناقضين كذب الآخر ولا يمكن صدقهما معاً ولا كذبهما معاً . فاذا تقرر هذا فنقول إذا ثبت للأرض السكون انتفى عنها عدم السكون وهو مساوٍ للحركة وهو خبر الله تعالى . وان ثبت للأرض الحركة انتفى عنها عدم الحركة وهو مساوٍ للسكون لأنه يلزم لزوماً بينا من انتفاء النقيض انتفاء المساوي له . وهذا الشق الاخير باطلٌ قطعاً ومعتقده كافر كما تقدم انتهى كلام الكافي .

فصل

وقد استدل بعض العصريين على ما زعموه من حركة الارض ودورانها على الشمس بقول الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) الآية . وهذا من الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه لأن الآية انما سيقت في ذكر ما يكون يوم القيامة . وقد بين الله ذلك بقوله (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل اتوه داخرين) ثم قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) .

فدلت هذه الآيات على ان مرور الجبال مثل مر السحاب إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا . وقد اوضح الله ذلك في آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً) وقوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع . ماله من دافع . يوم تمور السماء موراً . وتسير الجبال سيراً . فويل يومئذ للمكذبين) وقوله تعالى (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت) الآيات إلى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت) . وقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا امتا . يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) وقوله تعالى (فاذا

النجوم طمست . وإذا السماء فرجت . وإذا الجبال نسفت . وإذا الرسل اقتت . لأي يوم اجلت . ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) وقوله تعالى (القارعة ما القارعة . وما ادراك ما القارعة . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقوله تعالى (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الارض رجاً . وبست الجبال بساً . فكانت هباء منبثاً . وكنتم ازواجاً ثلاثة) وقوله تعالى (ان يوم الفصل كان ميقاتاً . يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً . وفتحت السماء فكانت أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سراباً) فدلت هذه الآية مع الآيات من سورة النمل على ان زوال الجبال من اماكنها ومرورها مثل مر السحاب وذهابها بعد ذلك بالكلية انما يكون يوم القيامة لا في الدنيا .

وبعد تحرير هذا الموضع رأيت فيه كلاماً حسناً لعالمين فاضلين احدهما الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي . والآخر الشيخ محمد الحامد خطيب جامع السلطان بحماة رد كل منهما على من قال ان الآية من سورة النمل تدل على دوران الارض وحركتها ، وقد رأيت ان اسوق كلامهما ههنا لما فيه من بيان الحق ورد الباطل .

فأما الشيخ محمد بن يوسف الكافي فقال في كتابه « المسائل الكافية . في بيان وجوب صدق خبر رب البرية » ما نصه :

(المسألة الثالثة والعشرن) أقول رأيت في كلام بعضهم الاستدلال على حركة الأرض بقوله سبحانه وتعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب) واغتر بكلامه كثير ممن لا اطلاع لهم وهو جهل منه بزمن مرورها مر السحاب. وذلك أن زمن مرورها وبسها حتى تكون كالهباء وتسييرها حتى تكون كالسراب هو زمن خراب العالم وزمن قيام الساعة . ولكن من لم يخش ربه يفسر القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

قال حبر هذه الامة في تفسير قوله تعالى (وترى الجبال) يا محمد في النفخة الاولى (تحسبها جامدة) ساكنة مستقرة (وهي تمر مر السحاب) في الهواء .

وقال في تفسير قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجاً) إذا زلزلت الأرض زلزلة حتى ينطمس كل بنيان وجبل عليها فيعود فيها (وبست الجبال بساً) سيرت الجبال على

وجه الارض كسير السحاب . ويقال قلعت قلعاً . ويقال جثت جثاً . ويقال فتت فتا تبس كما يبس السويق أو علف البعير .

واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (إذا رجت الارض رجاً) قال زلزلات (وبست الجبال بساً) قال فتت (فكانت هباء منبثاً) قال كشعاع الشمس انتهى . وأما الشيخ محمد الحامد فقال في كتابه المسمى « ردود على اباطيل وتمحيصات لحقائق دينية » بعد كلام سبق مانصه اننا حين ننظر في الآيات الكريمة التي ذكر الله فيها الأرض والشمس والقمر والنجوم نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبي الكريم واصحابه صلوات الله تعالى وتسليماته عليه وعليهم اجمعين ، ومعاذ الله أن يفهموا خطأ ويفهم غيرهم صواباً . لكن قد اقتحم بعض الجرءآء على الله هذه اللجة فزعم ان قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) يدل على دوران الأرض وحركتها وهو استدلال غير صحيح وتفسير غير مقبول . واليك البيان .

أن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على حركة الأرض متوقف على ان لا يكون سباق وسياق يفيدان غير ما يفهم المستدل . ومتوقف أيضاً على ان لا يوجد نص آخر يعترض . وكلا الامرين موجود ههنا فالاستدلال إذا غير سليم والنظر ليس بسديد .

أما الأول فان السباق — وهو أول الكلام — والسياق — وهو آخره — يفيدان ان مرور الجبال مر السحاب انما يكون يوم القيامة إذ ان الآية واردة في وصفه قال الله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلا ممن شاء الله وكل اتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) .

فالآيات في القيامة كما هو ظاهر لا في هذه الدنيا ، وكم في الآي من سباق وسياق يتعين بهما معنى لا يمكن المحيد عنه على ان الله تعالى ذكر سير الجبال يوم القيامة في غير موضع من كتابه الكريم فقال سبحانه في سورة الكهف الشريفة (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً) وقال تعالى في سورة التكوير (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت)

الآيات الكريمات ، وبهذا البيان يبطل الاستشهاد بالآية على حركة الارض ،

وأما الثاني وهو ان لا يوجد نص معترض . فانا لو نظرنا إلى الفكرة من حيث هي نظراً شرعياً صرفاً لما استطعنا إلا المصير إلى ما تقرره النصوص القرآنية المانعة منها .

ان القرآن قائل بثبات الارض . وما اصرح قوله سبحانه (والقي في الارض رواسي ان تميد بكم) وقوله في مكان آخر (وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم) والميد هو التحرك كما تدل عليه نصوص اللغة .

وقال الله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً) هؤلاء الآيات يدللن دلالة واضحة على تثبيت الله الارض بالجبال لئلا تتحرك .

والقول بأن تثبيتها بالجبال لا ينافي حركتها كالسفينة المثقلة بما يحفظ عليها توازنها مع سيرها في اللجة فيه من التكلف البارد ما يأباه الذوق الاسلامي وترفضه البلاغة القرآنية إذ هو دخول في مأزق من التأويل يصرف النص عن المتبادر منه من غير حاجة تدعو اليه فهو في الحقيقة تلاعب لا تأويل يقوم على اسس صحيحة .

هذا وكما قرر القرآن ثبات الارض قرر حركة الشمس والقمر وجريانهما حولها قال الله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) والتنوين في « كل » تنوين عوض أي كل منهما الشمس والقمر ولا ذكر للأرض .

وقال الله تبارك وتعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لاالشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .

فقد اثبت للشمس جريانها وهو الحركة الانتقالية . أما الحركة الرحوية – أي المحورية على حد تعبير الفلكيين – فلا تسمى جرياناً في لغة العرب بل دوراناً . والنص ناطق بالجريان ثم قال الشيخ محمد الحامد .

ويتضح من مجموع ما ذكرنا في هذا الفصل ان البرهان العلمي لا يساعد على القول بحركة الارض بل هو معين لثباتها وان الحركة للشمس والقمر . وان حمل بعض الآيات الشريفة على غير ما تدل مجموعة النصوص عليه مما هو بعدُ موضع اخذ ورد عند الفلكيين انفسهم فيه من الجراءة على القول في القرآن بغير علم ما لا يخفى وقد قال

سيدنا رسول الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله « من قال في القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار »

ولما سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن معنى الاب في قول الله تبارك وتعالى (وفاكهة وأبا) لم يرد وجعل يقول « اي سماء تظلني واي ارض تقلني ان قلت في كتاب الله برأيي » وكذلك يجب أن يكون المسلم هيابا لله تعالى وقافا عند حدوده سبحانه . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

فصل

ومن اغرب الاستدلال على حركة الارض وسيرها بل من اقبح التهور والجراءة على القول في كتاب الله بغير علم ما نقله الشيخ محمد بن يوسف الكافي عن محمد بخيت المطيعي الذى كان مفتيا لمصر فيما سبق

وقد تعقبه الشيخ الكافي ورد عليه ردا وافيا كافيا . وانا اذكر ههنا كلام المطيعي والرد عليه . وقد زدت في بعض المواضع منه زيادات صدرتها بكلمة « قلت » ليعلم انها ليست من كلام الكافي والله الموفق .

قال الشيخ الكافي في كتابه « المسائل الكافية . في بيان وجوب صدق خبر رب البرية »

(المسألة الخامسة والسبعون) اتصل بيدى منذ خمسة ايام رسالة تسمى « تنبيه العقول الانسانية . لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية » تأليف محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقا . اخترع فيها علوما لم يسبق بمثلها وادعى ان القرآن العظيم يدل على ما اخترعه . ولمز من تقدمه من عصر النبوة الى قبل عصره بالقصور والجهل وتقليد علماء اليونان في سكون الارض . فاردت تتبع بعض ما اخترعه فان وجدت القرآن العظيم يدل عليه تصريحا او تلويحا قبلته وكرامة . وان وجدته اخذه من علوم الغربيين والقرآن بريء منه رددته ولا ندامة . ويوم القيامة يفصل بينه وبين من لمزهم وهم برءاء

وفي صحيح الاخبار « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »

ثم اني اذكر المبحث الذى يتكلم فيه بتمامه ثم اكر عليه نقضا والله المعين لي على ذلك

ثم قال الشيخ الكافي

(المسألة السادسة والسبعون) قال المفتي

(دوران الارض واخذه من القرآن) قال تعالى (الذى جعل لكم الارض فراشا) وقال (أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا) وقال (جعل لكم الارض مهدا) وقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) وقال في سورة الانبياء (كل في فلك يسبحون) وفي سورة يس (وكل في فلك يسبحون) وقال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء)

وكل هذه الآيات تدل بظاهرها على ان الارض متحركة ودائرة كما هو قول فيثاغورس قديما وقول علماء الهيئة اليوم . وذلك انه ثبت بالمشاهدات الصحيحة ان الارض على شكل كرة مفرطحة نحو قطبيها منتفخة عند خط الاستواء . وقد اطبق المحققون من المفسرين وجميع علماء الكلام وفلاسفة الاسلام على ان الارض كرة وعدوا انكار ذلك مكابرة فمن اقام الدليل على خلاف ذلك فقد اراد التشكيك في اليقينيات وكابر نفسه وانكر حسه فلا يعول عليه ولا يلتفت اليه . فكان انتفاخها نحو خط الاستواء وتفرطحها نحو القطبين دليلا حسيا يدل على ان الارض كانت سائلة في مبدأ خلقها وانها متحركة بحركة رحوية ودائرة على محورها وذلك لان الكرة اذا كانت صلبة كالتي من العاج مثلا لا يتغير شكلها ولو دارت على محورها قرونا كثيرة . وأما اذا كانت سائلة او عجينة انتفخت نحو وسطها وتفرطحت نحو قطبيها وبذلك جمدت قشرتها ايضا وبردت ولو كانت ساكنة لبقيت جرما غازيا سائلا فلا تصلح لأن تكون فراشا ولا مهدا ولا ذلولا فثبت بذلك حركتها على محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار ؛ وأما حركتها حول الشمس فسببها ان الشمس اكبر جرما من الارض اضعافا مضاعفة وكلما كان الجرم اكبر كان اكثر وأقوى جاذبية من الاصغر . فالشمس هي التي تجذب الارض اليها من كل الجوانب لما تقرر على وجه ما ذكر في علم رفع الاثقال بالتجربة العملية الصحيحة وبذلك تبين ان هذه الآيات بظاهرها تدل على ان الارض ليست

منقادة الى حركة رحوية بها تدور على محورها ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط بل تتحرك ايضا حركة اخرى حول الشمس تتكون منها السنة وفصولها . وأما قوله تعالى (كل في فلك يسبحون) فوجه دلالته ان القاعدة العربية في الضمير الذي يعود على المضاف اليه الذي ناب عنه التنوين في لفظ كل انه يجوز فيه الافراد والتثنية ان كان مرجع الحقيقي مثنى فالتثنية لمراعاة المعنى والافراد لمراعاة اللفظ وقد جاء الضمير في قوله (يسبحون) جمعا فكان مرجعه جمعا وعلى هذا اتفق المفسرون غير انهم أولوا ذلك بتأويل شتى ما دعاهم لارتكابها إلا اعتقاد ما قاله البطليموسية من اليونان من ان الارض ساكنة مع انه لم يقم دليل على سكون الارض بل الدليل قائم على دورانها فلا داعي للتأويل بل يجب ان تبقى الآيتان على ظاهرهما ويعود الضمير على الاجرام الثلاثة التي هي الارض والشمس والقمر . وممن استدل على دوران الارض في تفسيره بهاتين الآيتين وبقوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشا)ونظائرها من الآيات صاحب كشف الاسرار النورانية القرآنية . وأما قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) الآية فوجه دلالتها على دوران الارض ان معناها انا نرى الجبال نظنها بحسب ما يتراآى لنا ساكنة وهي في الواقع ونفس الامر تمر مر السحاب وتسير سيرا حثيثا وما ذلك الا لان الارض متحركة بحركة سريعة جدا والجبال تسير وتتحرك تبعا لها لانه لا جائز ان تكون الجبال متحركة هذه الحركة وحدها والارض ساكنة لانه لو كان الامر كذلك لانفصلت الجبال عن الارض وهو خلاف المشاهد فتبين ان حركتها اذاً هي بالتبعية لحركة الارض ولا جائز ان يكون نمانراها على الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الأولى أو النفخة الثانية كما قيل بذلك لانه في كل الوقتين لا يكون هناك بقاء ولا وجود للجبال على الارض على الوجه الذي يلائمه قوله تعالى في الآية (صنع الله الذي اتقن كل شيء) لان يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال وتكون كثيبا مهيلا وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لاترى فيها عوجا ولا امتا . وهو اليوم الذي تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش والناس كالفراش المنثوث . الى غير ذلك من الاحوال والاهوال التي لا تناسب ان يقال ويخاطب كل من يصح منه الرؤية (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء) لان مثل هذا القول انما

يقال لحض الناس المخاطبين على النظر في ذلك الصنع المتقن والتفكير فيما اشتمل عليه من الحكم ليزدادوا ايمانا ويقينا وليس يوم النفختين صالحا لمثل هذا

اذا علمت كل ما قلناه في خلق السموات والارض تعلم ان العاقل المنصف اذا نظر في هذه اللطائف التى اشتملت عليها تلك الآيات القرآنية وما دلت عليه من تدبير الصانع الحكيم نظر منصف مجردا عن التعصب علم علما يقينا واعتقد اعتقادا جازما ان القرآن قد اشتمل على كثير من مباحث العلوم العمرانية والكونية وان كل ما قيل غير ذلك فرية بلا مرية كيف وقد دلت على ان الله تعالى حكيم مقتدر عليم حيث جعل الا رض كرة دائرة لتكون فراشا ومهدا وذلولا اه

قال الشيخ الكافي في الرد على المطيعي

(المسألة السابعة والسبعون)

(قوله) دوران الارض واخذه من القرآن

(لا يصح) كما تقف عليه ان شاء الله تعالى

(قوله) قال الله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشا) الى قوله وكل هذه الآيات تدل بظاهرها على ان الارض متحركة ودائرة

(لا يصح) لان الآيات تدل دلالة صريحة على ان الارض ثابتة غير دائرة ليتم الاستقرار عليها وتثبت عليها ارجل الحيوانات وتكون مهدا وفراشا وبساطا وذلولا وقرارا اذا كانت ثابتة غير متحركة وحركتها في السرعة كحركة السحاب الذي تدروه الرياح فلا عاقل يقول انها بهذه الصفة تكون مهدا وقرارا الى آخر ما ذكر

ثم ذكر الكافي كلام الرازي على قول الله تعالى (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) وقد تقدم ذكره قريبا في اول ما نقلنا من كلام الكافي فليراجع

وتقدم ايضا الاستدلال بالآيات من سورة البقرة وسورة النمل وسورة الزخرف وسورة الملك على ثبات الارض واستقرارها والاستدلال بالآيتين من سورة الانبياء وسورة يس على جريان الشمس في الفلك وكلام المفسرين في ذلك فليراجع فالعمدة عليه لا على كلام الملحدين في آيات الله تعالى المحرفين للكلم عن مواضعه كالمطيعي واشباهه من تلامذة الافرنج ومقلديهم .

ثم قال الكافي في الرد على المطيعي

(قوله) كما هو راي فيثاغورس قديما وقول علماء الهيئة اليوم

(لا يكون) حجة في الموضوع لان الموضوع الذي التزمه ان القرآن يؤخذ منه حركة الارض . وقول فيثاغورس ومن معه ليس بقرآن

(قوله) وذلك انه ثبت بالمشاهدات الصحيحة الى قوله عند خط الاستواء

(لا ينجح) في الموضوع لانه لم يؤخذ ذلك من القرآن

(قوله) وقد اطبق المحققون الى قوله ولا يلتفت اليه

(خارج) عن موضوع البحث وهو دوران الارض واخذه من القرآن فلا فائدة فيه

(قوله) فكان انتفاخها نحو خط الاستواء وتفرطحها نحو القطبين دليلا حسيا على ان الارض كانت سائلة في مبدأ خلقها

لا يؤخذ ذلك من القرآن (وهوغيب عنا فيحتاج الى وحي يسفر علىما ادعاه ولا وحي . والذي تدل عليه الآيات والآثار ان الله تعالى خلق الارض على الوصف الذي نشاهده لا انها انتقلت من طور الى طور كاطوار الجنين في بطن امه

(قوله) وانها متحركة الى قوله وتفرطحت نحو قطبيها

(لا يؤخذ) من القرآن فلا يعول عليه كما تقدم

(قوله) وبذلك جمدت قشرتها ايضا وبردت

(غير صحيح) بل هي ساكنة . ودعوى كون جرمها غازيا سائلا دون اثباته خرط القتاد لأن ذلك من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا من طريق الوحي ولا وحي

(قوله) فلا تصلح لأن تكون فراشا ولا مهدا ولا ذلولا

(غير صحيح) بل لا تصلح لان تكون مهدا وذلولا وفراشا الا اذا كانت ساكنة كما هو المعقول والمنقول

(قوله) فثبت بذلك حركتها على محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار

(لا يثبت) الا عنده وعند من يتخيل تخيلاته

(قوله) وأما حركتها حول الشمس الى قوله العملية الصحيحة

(لا يصح) لان اصل الحركة لها غير ثابت فضلا عن حركتها حول الشمس لانه

لا دليل على ما ذكره من القرآن المدعى انه يثبت دوران الارض من القرآن فلم يثبته لنا ثبوتا مسلما ولن يستطيع ان يثبته

قلت وزعم المطيعي تقليدا لاهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج ان جرم الشمس اكبر من الارض باضعاف مضاعفة لا دليل عليه من كتاب ولا سنة وانما يعتمد اهل الهيئة الجديدة في ذلك على نظاراتهم وآرائهم وتخرصاتهم وظنونهم التي لا تغني من الحق شيئا

والظاهر من ادلة الكتاب والسنة ان جرم الارض اكبر من الشمس والقمر والنجوم وسيأتي ايراد الأدلة على ذلك مع الكلام على بطلان الهيئة الجديدة ان شاء الله تعالى .

وأما زعمه ان الشمس تجذب الارض اليها من كل الجوانب . فهو قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح . وما ليس عليه دليل فليس عليه تعويل

وقد جاء في عدة احاديث صحيحة ان الشمس تدني من الارض يوم القيامة . وفي بعضها انها تكون من الناس بقدر ميل . وقد تقدم ذكر هذه الاحاديث مع الادلة على ثبات الارض فلتراجع ففيها ابطال لما زعمه المطيعي وسلفه اهل الهيئة الجديدة من جاذبية الشمس للارض

ولو فرضنا ان بين الارض والشمس جاذبية لكانت للارض لا للاشمس لان الشمس هي التى تجري وتدور على الارض . واذا كان يوم القيامة ادنيت من الارض حتى تكون من الناس بقدر ميل ثم تكور هي والقمر ويرمى بها في البحر كما تقدم ذلك في حديث ابن عباس رضى الله عنه والله اعلم

ثم قال الشيخ الكافي في الرد على المطيعي

(قوله) وبذلك تبين ان هذه الآيات بظاهرها تدل على ان الارض ليست منقادة الى حركة رحوية بها تدور على محورها ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط بل تتحرك ايضا حركة اخرى حول الشمس تتكون منها السنة وفصولها

(غير صحيح) لان الآيات التي ذكرها لم تدل بظاهرها ولا بباطنها ولم تشعر مطلق اشعار بان الارض تتحرك على محورها ويتعاقب الليل والنهار بسبب تلك الحركة ،

ومن باب اولى في عدم دلالتها على حركة الارض حول الشمس وانما هي دعوى ادعاها على الآيات وهي بريئة من دعواه

قلت وذلك من الالحاد في آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه . وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه

(قوله) وقد جاء الضمير في قوله (يسبحون) جمعا فكان مرجعه جمعا

(غير صحيح) بل المرجع مثنى لاغير وهو الشمس والقمر واطلاق الجمع على المثنى والمثنى على الجمع والمفرد عليهما وهما على المفرد سائغ في لغة العرب .

وبعضهم اعتبر المرجع جمعا بزيادة النجوم على الشمس والقمر ولا قائل برجوعه الى الارض

قلت وقد اعتبر بعضهم المرجع جمعا بزيادة الليل والنهار مع الشمس والقمر . قال ابن جرير في تفسير سورة يس وقوله (وكل في فلك يسبحون) يقول وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل. ثم روى باسناده عن مجاهد انه قال يجري كل واحد منهما يعنى الليل والنهار (في فلك يسبحون) يجرون

وقال ابن كثير في تفسير سورة يس . وقوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون اي يدورون في فلك السماء قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني انتهى .

وهذا هو الظاهر من سياق الآيات من سورة الانبياء وسورة يس حيث ذكر تبارك وتعالى الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال (وكل في فلك يسبحون)

وقد قرر هذا شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال في جواب له . وقوله (كل في فلك يسبحون) يتناول الليل والنهار والشمس والقمر كما بين ذلك في سورة الانبياء وكذلك في سورة يس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد

كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فتناول قوله (وكل في فلك يسبحون) ما تقدم الليل والنهار والشمس والقمر كما ذكر في سورة الانبياء

وقال الشيخ ايضا في جواب آخر والله سبحانه قد اخبر بان الشمس والقمر والليل والنهار كل ذلك يسبح في الفلك فقال تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) والفلك هو المستدير كما ذكر ذلك من ذكره من الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين . والمستدير يظهر شيئا بعد شيء فيراه القريب منه قبل البعيد عنه انتهى

وأما اعادة الضمير في قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون) الى الارض مع الشمس والقمر فهو من الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه ولا يقول بذلك الا لمفتونون بزخارف الافرنج وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة كالمطيعي واشباهه من العصريين الذين يتمسكون باقوال اعداء الله تعالى ويقدمونها على نصوص الكتاب والسنة ويتاولون القرآن على غير تاويله

ثم قال الشيخ الكافي في الرد على المطيعي

(قوله) وعلى هذا اتفق المفسرون غير انهم اولوا ذلك بتاويل شتى

(صحيح) غير انهم لم يخرجوا بتاويلهم عما يقتضيه لسان العرب والقرآن العظيم الذي نزل بلغتهم فهم سادة يمدحون

(قوله) ما دعاهم لارتكابها الا اعتقاد ما قاله البطليموسية من اليونان من ان الارض ساكنة

(غير صحيح) ودعواه عليهم تقليد البطليموسيه فرية بلا مرية بل انما اتبعوا القرآن وما ثبت من الاقوال عن السلف الصالح حسب ما تقدم وحسب ما ياتي ان شاء الله تعالى

(قوله) مع انه لم يقم دليل على سكون الارض

(غير صحيح) بل الدليل على سكونها قائم من القرآن وغيره كما تقدم في المسألة الموفية عشرين وكما ياتي ان شاء الله تعالى

قلت قد تقدم ذكر المسألة العشرين في اول ما نقلته من كلام الكافي فلتراجع

(قوله) بل الدليل قائم على دورانها

(غير صحيح) لانه لم يقم لنا دليلا من القرآن مسلما على دوران الارض . وأما انه ثابت عند فيثاغورس التابع له هو فذاك خارج عما ادعاه من اثبات دوران الارض من القرآن . والمسلمون لم يسلموا دعوى فيثاغورس ومن كان على شاكلته

(قوله) فلاداعي للتاويل

(غير صحيح) بل التاويل واقع في محله

(قوله) بل الواجب ان تبقى الآيتان على ظاهرهما ويعود الضمير على الاجرام الثلاثة التى هي الارض والشمس والقمر

(غير صحيح) بل يجب عوده على الشمس والقمر لا غير لأن عوده على الارض بديه البطلان لأنه لا فلك لها تسبح فيه على فرض سبحها الباطل لأن الافلاك من العلويات والارض من العالم السفلي .

قلت الصحيح ان الضمير عائد على الليل والنهار والشمس والقمر وقد تقدم تقرير هذا قريباً في كلام ابن جرير وابي العباس ابن تيمية والعماد ابن كثير رحمهم الله تعالى . وقد حكاه ابن جرير عن أهل التأويل . يعني المفسرين . وحكاه ابن كثير عن ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني وبذلك تبقى الآيتان عل ظاهرهما ولا يحتاج مع ذلك إلى التأويل . وأما الزيادة على ما اخبر الله به في كتابه كما فعل المطيعي في ادخاله الارض مع الشمس والقمر فيما أخبر الله به من السبح في الفلك واعراضه عما أخبر الله به من سبح الليل والنهار فيه فذلك إلحاد في إيات الله تعالى وتحريف للكلم عن مواضعه وليس ذلك من التأويل الجائز في شيء .

ثم قال الشيخ الكافي في الرد على المطيعي .

(قوله) وممن استدل على دوران الأرض إلى قوله النورانية القرآنية .

(لا يفيد شيئاً) لأنه يقال في استدلاله ما قيل في استدلال مفتي مصر سابقاً بلا فرق .

(قوله) وأما قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) الآية فوجه دلالتها على دوران الارض ان معناها أنا نرى الجبال نظنها بحسب ما يتراءى لنا ساكنة إلى قوله والجبال تسير وتتحرك تبعاً لها .

(غير صحيح) ما اراده من الآية بل المعنى الصحيح للجبال هو ان لها وصفين احدهما في حال وجود الدنيا وهو ثبوتها في نفسها وثبوت الارض بها كما هو صريح القرآن العظيم . وثانيهما بعد أيام الدنيا وهو مرورها مر السحاب في الواقع ونفس الأمر وجامدة ساكنة بحسب ما يتراءى للناظر اليها .

(وقوله) لأنه جائز ان تكون الجبال متحركة هذه الحركة وحدها والارض ساكنة لأنه لو كان الأمر كذلك لانفصلت الجبال عن الأرض وهو خلاف المشاهد .

(كلام قليل الجدوى) لأن الجبال في حال الدنيا لا تتحرك هذه الحركة لا بنفسها ولا تبعاً للأرض وانما تتحرك هذه الحركة وحدها يوم القيامة وتنفصل عن الارض وتبقى الأرض بارزة .

(قوله) فتبين ان حركتها انما هي بالتبعية لحركة الارض (غير صحيح) لأنه لم يتبين شيء بل المتبين في نظر الناظر وفي الواقع ونفس الامر سكونهما معاً في هذه الدار .

(قوله) ولا جائز لان يكون ما نراه على الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الاولى أو النفخة الثانية كما قيل بذلك (يقال للمفتي) هو الجائز والواقع والقول بوقوع ذلك بعد النفخة الثانية ارجح في النظر وما تستند اليه مما يقوي قولك التابع فيه لفيثاغورس ويضعف قول من يقول بسيرها بعد وقوع النفخة الاولى والنفخة الثانية سنرده ان شاء الله تعالى رداً يفقهه من له ادنى المام بالعلم .

(قوله) لأنه في كل من الوقتين لا يكون هناك بقاء ولا وجود للجبال على الأرض على الوجه الذي يلائمه قوله تعالى في الآية (صنع الله الذي اتقن كل شيء) .

(حق وصدق) بالنسبة لعدم بقاء ووجود الجبال على وجه الأرض .

(وغير حق وصدق) بالنسبة لعدم ملائمة ذلك للآية بل هو ملائم للآية تمام الملاءمة . وذلك ان تسيير الجبال الراسيات الشامخات تسييرا في الجو حثيثاً ويظن الناظر اليها انها جامدة أي ثابتة في مكانها والحال انها تمر مر السحاب هو صنع الله المتقن وكل افعال الله متقنة فهو سبحانه وتعالى ارسى بها الأرض في الدار الأولى فاتقن ارساءها وسيرها في الدار الآخرة فاتقن تسييرها .

(قوله) لأن يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال وتكون كثيباً مهيلا وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفاً — إلى قوله — من الاحوال والاهوال .

(صحيح) غير أنه ترك من اوصافها ان الناظر اليها يخيل له انها جامدة أي ثابتة في أماكنها والواقع انها تمر مر السحاب (قوله) التي لا تناسب ان يقال ويخاطب كل من يصح منه الرؤية (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء) .

(غير صحيح) بل لا يناسب إلا هو لأن اصل الخطاب لبيان هول وشدة ذلك اليوم لا غير ومن أدعى خلاف هذا فلم يمعن النظر في سابق (وترى الجبال) وهو (واذا وقع القول) (ويوم ينفخ في الصور) ولو امعن لما تفوه بما قال إلا إذا رسخ في ذهنه مذهب فيثاغورس وأهل الهيئة الحديثة .

(قوله) لان مثل هذا القول انما يقال لحض الناس المخاطبين على النظر في ذلك الصنع المتقن والتفكر فيما اشتمل عليه من الحكم ليزداد ايماناً ويقيناً .

(غير صحيح) لأن الخطاب هنا ليس لحظ المخاطبين إلى آخر ما قال . بل هو لبيان هول ذلك اليوم كما تقدم وكما يأتي في كلام الراسخين في العلم . وانما جاء الخطاب للناس ليتفكروا في نصب الجبال على الارض المشاهد لهم في قوله تعالى في سورة الغاشية (افلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت) . وأما أنهم يتذكرون ويزدادون ايماناً ويقيناً بشيء لم يشاهدوه ولم يخطر ببالهم فهذا مما لا يساعده عقل ولا نقل .

(قوله) وليس يوم النفختين صالحاً لمثل هذا .

(صحيح في حد ذاته) لأنه لبيان هول ذلك اليوم لا للتذكير والوعظ (قوله) إذا علمت ما قلنا في خلق السموات والارض تعلم ان العاقل المنصف إذا نظر في هذه اللطائف التي اشتملت عليها تلك الآيات القرآنية — إلى قوله العمرانية والكونية .

(غير صحيح) بالنسبة لما قرره في دوران الأرض وانه لم يأت بلطيفة واحدة تذكر الا بلطيفة وهي مخالفته لصريح نص القرآن وهجرانه لما قرره علماء المسلمين من الصدر الاول إلى وقتنا هذا واعتناقه مذهب فيثاغورس ومن كان على شاكلته . والقرآن تنزه ساحته عن مثل هذا اللغو.

(قوله) وان كل ما قيل غير ذلك فرية بلا مرية

(معكوس) اعني ما قرره هو فرية بلا مرية .

(قوله) كيف وقد دلت على ان الله تعالى حكيم عليم حيث جعل الارض كرة دائرة لتكون فراشاً ومهداً وذلولا .

(غير صحيح) بالنسبة لكون الله تعالى جعل الارض كرة دائرة لأنه لا شيء من القرآن يدله على ذلك البتة كما تقدم . وأما كونه سبحانه وتعالى حكيماً مقتدراً عليماً فهذا ثابت له بنص الكتاب بقطع النظر عن كون الأرض كرة دائرة أو غير كرة وغير دائرة .

ذكر أقوال بعض علماء المسلمين الذين لمزهم مفتي مصر سابقاً بكونهم ما دعاهم لقولهم بسكون الأرض إلا تقليد البطليموسية من اليونان . وسيحاكمونه يوم القيامة عند الله تعالى .

(قال الشربيني) (وترى الجبال) أي تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه أنفذ الناس بصراً وانورهم بصيرة أو لكل أحد (تحسبها) أي تظنها (جامدة) أي قائمة ثابتة في مكانها لا تتحرك لأن الاجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها (وهي تمر أي) تسير حتى تقع على الارض فتستوى بها مبثوثة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثوراً ، واشار تعالى إلى أن سيرها خفي وان كان حثيثاً بقوله تعالى (مر السحاب) أي مراً سريعاً لا يدرك على ما هو عليه ا هـ . باختصار .

(الرازي) قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) . اعلم ان هذا هو العلامة الثالثة لقيام الساعة وهي تسيير الجبال والوجه في حسبانهم انها جامدة فلأن الاجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر اليها انها واقفة مع انها تمر مراً حثيثاً . أما قوله (صنع الله) فهو من المصادر المؤكدة كقوله تعالى (وعد الله) (وصبغة الله) إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب لوم ينفخ . والمعنى أنه لما قدم ذكره ذكر هذه الامور التي لا يقدر عليها سواه جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب ا هـ باختصار .

ثم قال الشيخ الكافي :

(قال ابو السعود) على قوله تعالى (وترى الجبال) عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير ، وقوله عز وجل (تحسبها جامدة) أي ثابتة في اماكنها (وهي تمر مر السحاب) أي تراها رأي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً — إلى ان قال — وهذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله عز وجل الأرض غير الارض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر . وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية اهـ باختصار .

(الرازي) عند قوله تعالى (وسيرت الجبال فكانت سراباً) قال أعلم ان الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله وهو ان اول أحوالها الاندكاك وهو قوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) .

والحالة الثانية لها ان تصير كالعهن المنفوش . وذكر الله ذلك في قوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقوله (يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن) .

والحالة الثالثة ان تصير كالهباء وذلك ان تتقطع وتتبدد بعد ان كانت كالعهن وهو قوله (إذا رجت الارض رجاً . وبست الجبال بساً . فكانت هباء منبثاً) .

والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله (فقل ينسفها ربي نسفاً)

والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها اجساماً جامدة لتكاثفها وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة متفتتة وهي قوله (وهي تمر مر السحاب) . ثم بين ان تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره فقال (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) .

والحالة السادسة ان تصير سراباً بمعنى لا شيء فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا كما ان من يرى السراب من بعد إذا اتى الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً والله

أعلم واعلم ان الأحوال المذكورة إلى ههنا هي أحوال عامة القيامة ا هـ المراد منه .

(أبو السعود) قال عند قوله تعالى (وسيرت الجبال) أي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) أي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيراً حثيثاً وذلك ان الاجرام العظام إذا تحركت نحواً من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد . وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سراباً) أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى (وبست الجبال بساً ، فكانت هباء منبثاً) أي غباراً منتشراً . وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى (ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً ، يومئذ يتبعون الداعي) وقوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد الثانية اهـ .

قلت وقال ابن جرير في تفسير سورة النمل يقول تعالى ذكره (وترى الجبال) يا محمد (تحسبها جامدة وهي تمر) كالذي حدثني علي قال حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (وترى الجبال تحسبها جامدة) يقول قائمة وانما قيل وهي تمر مر السحاب لانها تجمع فيحسب رائيها لكثرتها انها واقفة وهي تسير سيراً حثيثاً كما قال النابغة الجعدي :

بأرعن مثــل الطود تحسب أنهم وقوف لحــاجٍ والركاب تهملج

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره . قوله تعالى (وترى الجبال) قال ابن قتيبة هذا يكون اذا نفخ في الصور تجمع الجبال وتسير فهي لكثرتها تحسب (جامدة) أي واقفة (وهي تمر) أي تسير سير السحاب . وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من

بعيد واقفاً وهو يسير لكثرته ـ ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش وقد تقدم ذكره في كلام ابن جرير ـ ثم قال وقوله تعالى (صنع الله) قال الزجاج هو منصوب على المصدر لأن قوله (وترى الجبال تحسبها جامدة) دليل على الصنعة فكأنه قال صنع الله ذلك صنعاً. ويجوز الرفع على معنى ذلك صنع الله، فأما الاتقان فهو في اللغة احكام الشيء انتهى.

وقال البغوي في تفسيره. قال الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره. قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) قال ابن عباس أي قائمة وهي تسير سيراً حثيثاً. قال القتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير ـ ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش العظيم وتقدم ذكره. ثم قال ـ قال القشيري وهذا يوم القيامة أي هي لكثرتها كأنها جامدة أي واقفة في مرأى العين وان كانت في انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن انها واقفة وهي تسير، أي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء. قال الله تعالى (وسيرت الجبال فكانت سراباً). ويقال ان الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وابراز ما كانت تواريه، فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن.

والحالة الثالثة ان تصير كالهباء وذلك ان تتقطع بعد ان كانت كالعهن.

والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز. فاذا نسفت فبارسال الرياح عليها.

والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتطيرها شعاعاً في الهواء كأنها

غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها اجساماً جامدة وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتتة .

والحالة السادسة ان تكون سراباً فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً منها كالسراب قال مقاتل تقع على الارض فتسوى بها انتهى . وقال ابن كثير في تفسيره ، وقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالى (يوم تمور السماء موراً . وتسير الجبال سيراً) وقال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة) . وقوله تعالى (صنع الله الذي اتقن كل شيء) أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة (الذي اتقن كل شيء) أي اتقن كل ما خلق واودع فيه من الحكمة ما أودع انتهى .

وكلام المفسرين بنحو ما ذكرنا كثير جداً وكلهم على خلاف ما ذهب اليه المطيعي واشباهه من تلامذة الافرنج ومقلديهم من العصريين .

ثم قال الشيخ الكافي :

(المسألة الثامنة والسبعون) في بيان ان صنع الله تعالى كيف ما وقع لا يكون الا متقناً سواء كان قبل النفختين أو بعدهما . وقَصْرُ مفتي مصر سابقاً ذلك على ما قبل النفختين وان ما بعد النفختين لا ينبغي ان يخاطب به الناس لا ينظر اليه ولا يعول عليه .

(الجلال المحلي) قال في تفسير قوله تعالى (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أي صنع الله ذلك صنعاً (الذي اتقن) أحكم (كل شيء) صنعه . (العلامة زاده) قوله (صنع الله) مؤكد لمضمون الجملة قبله فان ما تقدم من نفخ الصور المؤدي إلى الفزع العام وحضوراً لكل الموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله لا يحتمل غيره .

(قال ابو السعود) على قوله تعالى (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعاً على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق

إخلال نظام العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتب مقدمات الخلق ومبادىء الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى (الذي اتقن كل شيء أي أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة . وقوله تعالى (انه خبير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنعاً محكماً له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفيتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب جزائها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه ا هـ .

كتب الزمخشري على قوله تعالى (صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ . والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين . ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للأشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون فيكافيهم على حسب ذلك ، ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) إلى آخر الآيتين . فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده — أي جمعه — ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كأنما افرغ افراغاً واحداً . ولا مر منّا اعجز القوى واخرس الشقاشق — يعني الخطباء — ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان . ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمه باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله (والذي اتقن كل شيء) (ومن احسن من الله صبغة) (لا يخلف الله الميعاد) (لا تبديل لخلق الله) ا هـ محل الحاجة منه .

فصل

قال الصواف في تعقيبه على الشيخ عبد العزيز بن باز . ما نصه .

لقد قرأت بأمعان مقالك القيم (الشمس جارية والارض ثابتة) ولمست الضجة الكبرى التي احدثها في الأوساط العلمية والمجامع الثقافية وقد كان حديث المجالس وحديث الغادين والرائحين وكانوا ما بين موافق ومخالف ولم تكن الغرابة من موضوع المقال فالخلاف في هذا الأمر قديم وحديث ، ولكن الضجة مما جاء في المقال من التكفير والتضليل والحكم بالردة حيث قلت بعد ان سقت بعض الادلة « وهكذا علماء الاسلام المعروفون المعتمد عليهم في هذا الباب وغيره قد صرحوا بما دل عليه القرآن الكريم من كون الشمس والقمر جاريين في فلكهما على التنظيم الذي نظمه الله لهما وان الارض قارة ساكنة قد ارساها الله بالجبال وجعلها اوتاداً . فمن زعم خلاف ذلك وقال ان الشمس ثابتة لا جارية فقد كذب الله وكذب كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ثم قلت حفظك الله وكل من قال هذا القول فقد قال كفراً وضلالا لأنه تكذيب لله وتكذيب للقرآن وتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم الخ » .

من هنا يا أخي انطلقت الضجة حتى احدثت لها عجاجة في الافق العلمي ما كان اغنانا عنها خاصة وقد صدمت هذه الفتوى الملايين من شباب ورجال يدينون بالاسلام في هذا العصر والذين اصبحوا يعتقدون ان مثل هذه الامور اصبحت عندهم من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان فكيف تنفي نفياً قاطعاً ويكفر القائل بها ويحكم عليه بالردة ويستباح دمه وماله . نعم ان من كذب الله ورسوله وكذب كتابه فهو كافر مرتد ومجرم اثيم كما قلتم في مقالكم . وانا أقول وعليه غضب الله ولعنته الى يوم الدين .

والجواب عن هذا من وجوه ، أحدها ان يقال ان بيان الحق واجب على العلماء وكتمانه حرام عليهم لقول الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فدلت هذه الآية الكريمة على أنه لا يجوز للعلماء كتمان ما يعلمونه

من الحق بل يجب عليهم بيانه للناس سواء قبلوه منهم أو ردوه. وإذا حدث بسبب بيان الحق ضجة من الجهال لم يكن ذلك مانعاً من بيان الحق والدعاء اليه وانكار الباطل والتحذير منه . وقد احدثت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ضجة عظيمة عند المشركين ولم تكن ضجتهم مانعة له من بيان الحق والدعاء إليه وانكار المنكر والتحذير منه .

وكذلك أهل الردة قد أحدثوا ضجة عظيمة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال عمر رضي الله عنه لابي بكر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام . ولم تمنعه رضي الله عنه ضجتهم من قتالهم وردهم إلى الحق .

وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قد احدث عليه الخوارج ضجة عظيمة ولم تكن ضجتهم مانعة له من دعوتهم إلى الحق وقتالهم عليه .

وكذلك الامام أحمد وغيره من أهل السنة قد احدث عليهم الجهمية وغيرهم من أهل البدع ضجة عظيمة ولم تكن ضجتهم مانعة لاحمد وغيره من بيان الحق والدعوة وتكفير الجهيمة وغيرهم ممن يستحق التكفير من أهل البدع .

وكذلك شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية واصحابه قد احدث عليهم القبوريون واصناف أهل البدع ضجة عظيمة ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ وأصحابه من بيان الحق والدعوة اليه وانكار الباطل والتحذير منه وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين وأهل البدع .

وكذلك شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وانصاره واولاده واحفاده ومن سار على منهاجهم في بيان الحق والدعوة اليه قد أحدث عليهم القبوريون واصناف أهل البدع ضجة عظيمة ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ واتباعه من بيان الحق والدعوة اليه وانكار الباطل والتحذير منه وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين واهل البدع . .

وهكذا نقول فيما ذكره الصواف من ضجة اتباع أهل الهيئة الجديدة ومقلديهم من ضعفاء البصيرة ان ضجتهم ليست مانعة من بيان الحق وانكار الباطل وتكفير من كذب الله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني أن يقال ما هذا اللوم يا صواف على بيان الحق وانكار الباطل . أترضى

لنفسك ان تكون من الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف . ولو انك وجهت لومك إلى الذين ينشرون المقالات في تأييد الباطل واهله لكان خيراً لك من الجدال بالباطل لادحاض الحق .

الوجه الثالث ان يقال ما يدريك ان الملايين من المسلمين يعتقدون صحة ما روجه أهل الهيئة الجديدة في استقرار الشمس ودوران الارض عليها هل اخبروك بذلك عن انفسهم أو أخبرك الثقاة عنهم ، وإذا لم يخبروك فهل انت مطلع على الغيب وعالم بما يعتقده الناس واذا لم يكن عندك علم الغيب فلا بد لك من الأمر الثالث وهو اتباع الظن وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الظن اكذب الحديث » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الوجه الرابع ان يقال على سبيل الفرض والتقدير إذا كان الملايين من ضعفاء البصيرة قد انخدعوا لما روجه اعداء الله تعالى مما هو مخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان عليه الصحابة والتابعون وائمة العلم والهدى من بعدهم فهل يكون قبولهم لزخارف اعداء الله تعالى وتأثرهم من بيان الحق ونشره موجباً لكتمانه ومانعاً من بيانه ونشره . كلا . بل الواجب بيان الحق ونشره ولو صدم الملايين الكثيرة ، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمصيطر) وقال تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال تعالى (ان عليك الا البلاغ) .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلغوا عني ولو آية) رواه الامام أحمد والبخاري والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عل السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله إلا ان ترو كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » فالواجب على ورثة النبي صلى الله عليه وسلم ان يبلغوا عنه ويفرقوا بين الحق والباطل ويأمروا بالمعروف وينهوا من المنكر سواء رضي الناس بذلك أو سخطوا .

الوجه الخامس ان يقال إذا كان الملايين من الناس يعتقدون صحة ما قاله أهل الهيئة الجديدة في استقرار الشمس ودوران الأرض عليها فهل يكون اعتقادهم ذلك دليلا على صحته في نفس الامر حتى يتعين الاخذ به وتلغى لاجل ذلك النصوص الدالة على خلاف ما يعتقدون ويلغي ايضاً اجماع المسلمين على خلاف قولهم . كلا . بل الاخذ بالنصوص واجماع المسلمين هو المتعين وما خالف ذلك فمضروب به عرض الحائط :

لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران

وقد كان الجهيمة وغيرهم من أهل البدع يعتقدون صحة ما ذهبوا اليه من البدع ولم يكن اعتقادهم دليلا على صحة مذاهبهم في نفس الأمر .

وهكذا أهل الهيئة الجديدة واتباعهم فان قولهم في استقرار الشمس ودوران الأرض عليها قول باطل واعتقاد مخالف لاعتقاد اهل السنة والجماعة فلا يعول عليه بل يرد على قائليه .

الوجه السادس أن يقال ما أكثر المعارضين لأهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من العصريين وعلى هذا فقول الصواف ان مثل هذه الامور اصبحت عندهم من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان إن اراد أنه لا يجادل فيها احد من علماء المسلمين فهو كذب واضح لأن كل متمسك بالكتاب والسنة يخالفهم فيما زعموه من استقرار الشمس ودوران الارض عليها .

وقد ذكرنا اجماع المسلمين على وقوف الارض وسكونها واجماع أهل الكتاب على ذلك ايضاً .

وان اراد انه لا يجادل فيها احد من المقلدين لاهل الهيئة الجديدة والمتمسكين بارائهم وخرصاتهم فهو محتمل ولكن لا عبرة بهؤلاء ولا يعتد بأقوالهم في شيء من المسائل العلمية .

وايضاً فهؤلاء المخدوعون بزخارف اعداء الله تعالى محجوجون بنصوص الكتاب والسنة واجماع المسلمين على خلاف ما ذهبوا اليه كما تقدم ايضاحه .

وكل قول خالف نصاً أو اجماعاً فمضروب به عرض الحائط ومردود على قائله كائناً من كان وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع

غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

وان اراد انه لا يجادل فيها أحد من الفلكيين فهو كذب لأن الخلاف بين الفلكيين في هذه المسألة مشهور قديماً وحديثاً فأما الخلاف القديم فهو ما كان بين فيثاغورس واتباعه وبين بطليموس واتباعه ، وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب.

وأما الخلاف الحديث فهو ما كان بين أهل الهيئة الجديدة وبين من يعارضهم ويقول بخلاف قولهم من متأخري الفلكيين وقد قال محمد فريد وجدي في كتابه « كنز العلوم واللغة » أما دوران الأرض فهذا موضع الخلاف أقول الخلاف لأنه رغماً عن شيوع فكرة دورانها وتغلبها على النظرية المضادة لها لم تزل بين الاعلام الرياضيين موضع الشك .

وقال ايضاً في كتابه الذي سماه « الاسلام في عصر العلم » الادلة على دوران الأرض حول الشمس غير حاصلة على صفة الادلة المحسوسة حتى لا يمكن الخوض فيها كمسألة كرويتها ولذلك نرى نفراً من العلماء والرياضيين لا يزالون يتشككون في ذلك ويشككون غيرهم .

كتب المسيو درومون في جريدة « ليبر بارول » الباريسية يقول لم يقم الدليل إلى الآن على صحة دوران الارض كما كان يزعم « غاليليه » وغاليليه هو ناشر تعاليم كوبرنيك ولا على انها مركز العالم الشمسي .

وهذا المسيو « بوانكاريه » اكبر علماء الهندسة والطبيعة الفرنساويين لم يجزم إلى الآن بدوران الارض لانه يقول ، يقولون ان الأرض تدور وانا لا أدري مانعاً من دورانها فان فرض دورانها سهل القبول ويمكن به فهم كيفية تكوّن ونمو الدنيا وات ولكنه فرض لا يمكن اثباته ولا نفيه بالادلة المحسوسة ، وهذا الفضاء المطلق أي الحيز الذي يلزم نسبة الارض اليه للتحقق من دورانها أو عدم دورانها ليس له وجود في ذاته . قال ومن هنا ترى ان قولهم الأرض دائرة لا معنى له البتة لانه ليس في وسع أي تجربة اثباته لنا بالحس وجاء في جريدة « اكلير » الفرنساوية تحت امضاء بعض الكاتبين قوله ليس من المحقق الثابت ان الارض دائرة .

ونقل محمد فريد وجدي ايضاً عن الاستاذ الفلكي الطائر الصيت الذي يعد أول رياضي الآن في البلاد للفرنساوية كلاماً طويلا في الرد على القول بدوران الأرض وقال في آخره .

ومن هنا ترى تأكيدهم ان الأرض تدور لا معنى له لأنه لا يوجد ما يثبته بالتجربة .

ثم قال محمد فريد وجدي بعد هذا . واننا نرى من تضارب هذه الافكار بين اكبر علماء الأرض ان امر دوران الأرض غير حاصل على ما يجعله من العلوم البديهية فان مثل العلامة « بوانكاريه » لم يكن يتجاسر على مثل هذا القول وهو اكبر رياضي فرنسي اليوم ان لم نقل اكبر رياضي فلكي في العالم إذ لم يكن على ثقة تامة مما يقول وعلى بينة مما يرمي اليه . ولو كان المعلمون في اثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الاقرار بالجهل فيورون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية لادوا لتلامذتهم اكبر خدمة لأنهم بهذا يعودونهم على الادب النفسي فتنشأ نفوسهم معتادة على التواضع أمام فخامة الكون وجلالته والسجود امام مبدعه ومصوره . ولكن اكثرهم يدرسون لهم العلوم المشكوك فيها والفروض الطبيعية الظنية بصفة حقائق ثابتة فيتذرع بها اولئك التلامذة الاغرار متى كبروا إلى الالحاد ونفي الروح والخلود ولا يدرون انهم يتمسكون بالظنون وان الظن لا يغني من الحق شيئاً انتهى .

وقال الشيخ محمد الحامد خطيب جامع السلطان بحماة في كتابه المسمى « ردود على اباطيل ، وتمحيصات لحقائق دينية » تحت عنوان « موقف المسلمين من النظريات العلمية » ما نصه :

كان الفلكيون القدماء قائلين بثبات الأرض واستقرارها وجريان الشمس حولها ثم طلع بعض الفلكيين بنظرية دوران الأرض وثبات الشمس وقد راجت هذه الفكرة رواجاً عظيماً واعتقدها كثير من الناس حقيقة لا ريب فيها ثم تسرب الشك إلى بعض العقول بل تجددت فكرة الرجوع إلى القول الأول قطعاً عند بعض الفلكيين الجدد . ثم نقل ما ذكره محمد فريد وجدي عن المسيو «درومون» وعن المسيو بوانكاريه» وتقدم ذكره قريبا ثم قال وقد صدر سنة ١٩٢٦ ميلادية كتاب بالفرنسية اسمه «الارض لا تدور» تأليف ب رايو فيتش. ذكر فيه براهين علمية على ثبات الأرض وختمه بقوله فيبرهن ذلك على ان الشمس تدور حول الارض وكذا القمر يدور حولها وعلى عدم حركة الارض انتهى .

ثم قال محمد الحامد . من هذا كله يتضح ان فكرة دوران الأرض ليست متفقاً عليها

فمن الجراءة على الله تعالى محاولة تثبيت ما ليس بثابت بآياته الكريمة الحقة التي لا يتطرق اليها بطلان .

وقال الشيخ محمد الحامد أيضاً في الكتاب المذكور . قرأت في العدد السادس من اعداد مجلة « الاخوة الاسلامية » مقالة بعنوان « عدد السموات السبع ورجوم الشياطين بمصابيحها وقد رأيت الكاتب نحا في كلمته نحو من يقول بحركة الأرض مدعيا ان القرآن الكريم لم يصدم معتقدات الناس وتصوراتهم وقت نزوله ، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت ان الارض مركز لحركة الكون وان الشمس والقمر والنجوم تجري حولها أي على خلاف ما رآه المتأخرون من الفلكيين وادعى ايضاً ان القرآن الكريم اشار إلى حركتها وأومأ اليها تاركاً تفسيره للزمن . ثم نقل عن بعض الكاتبين تفسير السموات السبع بالطبقات الغازية التي تحيط بالأرض وتعلوها بل لقد عد المجرات المختلفة التي هي نجوم من السموات السبع بلا ريب ، وفي هذا مخالفة واضحة لنصوص الشرع والقرآن . وقد كان من الخير ان لا يتعرض لهذا فان التوفيق بين نصوص الدين التي لا ريب فيها والتي لا تتبدل وبين النظريات الفلكية التي تتبدل في الاحيان المتتالية ضرب من المحال ومن رامه اصطدم بعقبات وتورط في مشكلات ثم لا يجد خلاصاً منها بوجه مقبول .

والفلكيون مختلفون في تحرك الأرض قديماً وحديثاً وإلى الآن لم يبقوا على القول بأنها متحركة ، وكل يؤيد ما ذهب اليه بما يلوح له من دليل .

ولندعهم جانباً ولنقرأ آيات القرآن قراءة لا تكلف فيها ولا تعسف مؤمنين بأنها الحق لا ريب فيه وان الله تعالى لا يخبر بخلاف الحقيقة وان اولئك المختلفين لم يشهدوا خلق المكونات حتى تكون اقوالهم حججاً يحتج بها وبراهين يسار على ضوئها . قال الله تعالى (ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) .

اننا حين ننظر في الآيات التي ذكر الله فيها الارض والشمس والقمر والنجوم نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبي الكريم واصحابه صلوات الله تعالى عليه وعليهم وسلامه . ومعاذ الله ان يفهموا خطأ وان يفهم غيرهم من بعدهم صواباً .

قال الله تعالى في سورة النحل (وألقي في الأرض رواسي ان تميد بكم وانهاراً وسبلا

لعلكم تهتدون) وقال في سورة الأنبياء (وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون) وقال في سورة لقمان (وألقى في الأرض رواسي ان تميد بكم) وقال في سورة النبأ (ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال اوتاداً) وقال في سورة النازعات (والجبال ارساها) آيات كلهن نص على ان الله ثبت الأرض بالجبال فلا تتحرك والميدان لغة هو التحرك . إذاً فلا حركة للأرض كما يزعم الزاعمون .

ولئن قالوا ان تثبيتها بالجبال كتثبيت السفينة بما يثقلها ليحفظ عليها توازنها مع انها سائرة . قلنا لهم هذا تكلف ينبو عنه الذوق ولسنا مضطرين اليه فلا ندخل مأزقه الحرج ولا نسير في طريقه اللجج .

وإذا قستموها بالسفينة السائرة فأين انتم من قول الله تعالى (والجبال ارساها) ورسو السفينة وقوفها وسكونها فلا يتم لكم ما تريدون من هذا القياس .

وما أصرح قول الله تعالى ، في حركة الشمس (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) .

وان لاح لهم ان يتعلقوا بقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) قلنا لهم لا متعلق لكم في هذه الآية لانها في وصف يوم القيامة كما تدل عليه الآيات سباقاً وسياقاً (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل اتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون) .

وقد اخبرنا ربنا بسير الجبال يوم القيامة في غير آية (وإذا الجبال سيرت) (ويوم نسير الجبال) الآية (ويوم تمور السماء موراً . وتسير الجبال سيراً) انتهى المقصود من كلامه .

الوجه السابع ان يقال كيف لا ينفي قول أهل الهيئة الجديدة في استقرار الشمس ودوران الأرض عليها نفياً قاطعاً وما المانع من نفيه وقد نفاه القرآن والاحاديث الصحيحة واجماع المسلمين كما تقدم بيانه . بل ان النفي لما قالوه واجب على كل مسلم علم بفساد قولهم ومعارضته لنصوص القرآن والسنة واجماع المسلمين .

الوجه الثامن انه لا مانع من تكفير من قال باستقرار الشمس لتكذيبه لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة الدالة على جريانها ودؤبها في ذلك كما تقدم بيانه .

وتكذيب النصوص تكذيب لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة .

والدليل على كفر من كذب النصوص قول الله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين) وقوله تعالى (فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى .

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه مسلم والدارقطني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . .

فدل هذا الحديث الصحيح على ان من ترك الايمان بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مباح الدم والمال .

وقد تظاهرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

ومن أعظم حقوق لا إله إلا الله تصديق ما أخبر الله به في كتابه واعتقاد ان ذلك هو الحق وما خالفه فهو باطل .

ومن حقوق الشهادة بأن محمداً رسول الله تصديق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم واعتقاد ان ذلك هو الحق وما خالفه من اقوال الناس فهو باطل .

ومن رد شيئاً مما أخبر الله به في كتابه وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر لأنه لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فيجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل .

وان كانوا طائفة ممتنعة وجب قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق .

قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وان تكلمت بالشهادتين ، ثم ذكر رحمه الله تعالى ان التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين مما يجب القتال عليه .

ولا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة أن القول بجريان الشمس في الفلك واتيانها من المشرق وذهابها نحو المغرب هو الذي كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا ولا يعرف عن احد من المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة خلاف في ذلك . وقد تقدمت الاحاديث في ذلك وكذا أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وائمة العلم والهدى من بعدهم .

ولما ظهر أهل الهيئة الجديدة في آخر القرن العاشر من الهجرة وما بعده وهم كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من فلاسفة الافرنج اصحاب الرصد والزيج الجديد اظهروا خلاف ما كان عليه المسلمون فقالوا ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم وان الارض والنجوم تدور عليها وقد قلدهم في ذلك كثير من ضعفاء البصيرة من العصريين فخالفوا ما كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا .

وهؤلاء ينبغي ان يوضح لهم الحق الذي جاء به القرآن والسنة فمن اصر منهم بعد ذلك على المخالفة فهو كافر حلال الدم والمال لأنه قد عاند الحق على بصيرة واصر على تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

قال الفضل بن زياد القطان سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة .

وقال الفضل ايضاً عن أحمد بن حنبل قال بلغ ابن أبي ذئب ان مالكاً لم يأخذ بحديث « البيعان بالخيار » فقال يستتاب في الخيار فان تاب والا ضربت عنقه .

قال مالك لم يرد الحديث ولكن تاوله على غير ذلك .

وكذا قال ابراهيم بن هانيء النيسابوري سمعت أبا عبد الله يقول بلغ ابن أبي ذئب ان مالك بن انس قال ليس البيعان بالخيار فقال ابن ابي ذئب يستتاب مالك فان تاب وإلا ضربت عنقه .

وإذا كان هذا قول بن أبي ذئب في الامام مالك من أجل حديث واحد تأوله على غير تأويله فكيف بالذين يردون النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ويعارضونها بأقوال أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج واتباعهم من الاغبياء فهؤلاء أولى ان يستتابوا فان تابوا والا ضربت اعناقهم .

الوجه التاسع ان الصواف قد اعترف انمن كذب الله و كتابه ورسوله فهو كافر مرتد ومجرم اثيم . قال وعليه غضب الله ولعنته إلى يوم الدين .

فيقال له التكذيب يكون تارة بالمقال وتارة بالفعل ولسان الحال . ومن التكذيب بالفعل ولسان الحال رد النصوص الدالة على جريان الشمس و دؤبها في ذلك واعتقاد ان الحق ما قاله اهل الهيئة الجديدة من ثباتها واستقرارها . فمن فعل ذلك فقد كذب الله تعالى و كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

وحينئذ فما يؤمن الصواف ان تكون لعنته ودعاؤه بالغضب راجعاً عليه وهو لا يشعر .

الوجه العاشر ما ذكره الصواف في أول كلامه من الخلاف القديم والحديث في جريان الشمس وثبات الارض فيه ايهام وتمويه على الجهال .

فان اراد ان الخلاف القديم كان بين المسلمين وهو الظاهر من كلامه فليس ذلك بصحيح فانه لا خلاف بين المسلمين في جريان الشمس وثبات الأرض .

وقد تقدم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي من اجماع أهل السنة على وقوف الأرض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها .

وتقدم ايضاً ما حكاه القرطبي من اجماع المسلمين واهل الكتاب على ذلك .

وان اراد بالخلاف القديم ماكان بين بطليموس وفيثاغورس فهو صحيح ولكن لا ينبغي ذكر مثل هذا الخلاف بدون ذكر الطرفين المختلفين لان ذكر الخلاف مع الاطلاق يوهم انه بين المسلمين وليس الامر كذلك .

وأما الخلاف الحديث فهو ما كان بين المتمسكين بالكتاب والسنة وبين اهل الهيئة الجديدة ومقلديهم من العصريين . ولا ينبغي ان يلتفت إلى خلاف اعداء الله ومقلديهم لانه خلاف في مقابلة النصوص والاجماع فلا يعتد به .

فصـــل

قال الصواف . ولكن هل من قال بحركة الارض ودورانها حول الشمس بقدرة الله وبثبوت الشمس حول محورها وحركتها حول نفسها بأمر الله هل يعتبر هذا مكذبا لله ولرسوله ومكذبا لكتاب الله حتى يحكم عليه بالردة والكفر . انني هنا اتوقف ولا أود ان اتعجل بمثل هذا الحكم في أمور أقل مايقال فيها انها ظنية وليست قطعية الدلالة. والتوقف فيها او تفويض الامر فيها إلى الله العلي القدير اسلم واحكم واراكم قد تعجلتم في أمر كانت لكم فيه اناة وفي التأويل مندوحة .

والجواب عن هذا من وجوه ، احدها ان يقال من قال بحركة الأرض ودورانها على الشمس فقد خالف الادلة الكثيرة الدالة على سكونها وثباتها ، وخالف ايضا اجماع المسلمين على ذلك .

وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث الدالة على سكون الارض وثباتها فلتراجع .

وتقدم ايضا ذكر الاجماع على ذلك وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

ومن قال بثبات الشمس فهو مكذب لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي ولو قال مع ذلك ان لها حركة على نفسها فان ذلك لا يفيده شيئا لأن الله تعالى اثبت لها الجريان في عدة آيات من كتابه وقد تقدم ذكرها في أول الكتاب فلتراجع والجريان ضد الثبات والاستقرار كما قال تعالى عن سفينة نوح عليه السلام (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) الآية ففرق تعالى بين جري السفينة في الماء وبين رسوها وهو ثباتها واستقرارها على جبل الجودي .

وعلى هذا فمن نفى عن الشمس الجريان في الفلك واثبت لها السكون والاستقرار

قلب الحقيقة التي اخبر الله بها في كتابه واخبر بها رسوله صلى الله عليه وسلم فيكون مكذبا لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

والقول بأن الشمس ثابتة حول محورها وان لها حركة حول نفسها ينافي جريانها في الفلك كما لا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة وايضا فقد قال الله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).

وقد تقدم تفسير السبح في لغة العرب وانه المر السريع في الماء وفي الهواء . وعلى هذا فمن زعم ان الشمس ثابتة فقد نفي عنها السبح الذي اثبته الله لها فيكون مكذبا لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

وايضا فقد قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الآية ، والدأب في لغة العرب ادامة السير والمبالغة فيه . وعلى هذا فمن زعم ان الشمس ثابتة لا تسير على الدوام فقد نفى عنها ما اثبته الله لها من الدأب في السير فيكون مكذبا لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

وايضا فقد قال الله تعالى (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) الآية . وهذا نص صريح في ان الشمس تسير فتأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب ، فمن زعم انها ثابتة لا تفارق موضعها فهو مكذب لما اخبر الله به في هذه الآية الكريمة ، ومكذب لكتاب الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

وايضا فان الله تعالى قد اثبت للشمس البزوغ في آية من كتابه والطلوع في آيات أخر واثبت لها الافول في آية والغروب في آيات أخر . واثبت لها ايضا الدلوك والتزاور . وفي كل من هذه الامور دليل على سيرها . فمن زعم انها ثابتة فقد نفي عنها ما اثبته الله لها من هذه الأمور فيكون مكذبا لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم شاء أم أبي .

وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه « اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها

تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون متى ذاكم . ذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً » متفق عليه وهذا لفظ مسلم .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن يوشع بن نون عليه السلام انه قال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه . رواه الامام احمد والشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعنه ايضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس » رواه الامام احمد باسناد صحيح على شرط البخاري .

وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من نهار رواه الطبراني في الاوسط قال الهيثمي واسناده حسن .

وروى الامام احمد وابنه عبد الله وابن خزيمة وابو يعلي والطبراني باسانيد جيدة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صدق امية بن أبي الصلت في قوله

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها ... إلا معذبة وإلا تجلد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق » :

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طلع حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى ترتفع واذا غاب حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى تغيب » .

وفي الصحيحين ايضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه رواه أبو داود الطيالسي باسناد صحيح .

وروى مالك والشافعي واحمد والنسائي باسانيد صحيحة عن عبد الله الصنابحي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها ثم اذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا دنت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها » .

وروى الإمام احمد ومسلم وابو داود والنسائي عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الليل اسمع قال جوف الليل الآخر فصل ما شئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح ثم أقصر حتى تطلع الشمس فترتفع قيس رمح أو رمحين فانها تطلع بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار ثم صل ماشئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى يعدل الرمح ظله ثم أقصر فان جهنم تسجر وتفتح أبوابها فاذا زاغت الشمس فصل ما شئت فان الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي العصر ثم اقصر حتى تغرب الشمس فانها تغرب بين قرني شيطان ويصلي لها الكفار » وقد رواه الترمذي مختصراً وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي هذه الاحاديث الصحيحة أوضح دليل على جريان الشمس في الفلك ودورانها على الارض . فمن نفى ذلك عنها وزعم انها ثابتة لا تفارق موضعهافهو مكذب لما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث شاء أم أبى .

ومن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مكذب لله تعالى ولكتابه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم انما كان مبلغاً عن الله تعالى . وقد قال الله تعالى (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

واذا علم ما ذكرنا فلا مانع من اطلاق الردة على من علم بهذه الادلة أو بشيء منها ثم نبذها وراء ظهره وتمسك بما خالفها من أقوال أهل الهيئة الجديدة التي ما انزل الله بها من سلطان وانما هي من وحي الشيطان وتضليله .

الوجه الثاني ان القول بثبات الشمس وحركتها على نفسها هو مما تخيله أهل الهيئة

الجديدة وتخرصوه ذكره الالوسي عنهم . وهؤلاء كما قال الله تعالى في اشباههم (ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

وقد تقدم ان هذا القول ينافي ما أخبر به الله من جريان الشمس في الفلك ودؤبها في السير فيه .

واهل الهيئة الجديدة هم سلف الصواف واشباهه من العصريين وعلى اقوالهم الباطلة بني الصواف تعقيبه على الشيخ ابن باز وبها يجادل ليدحض الحق . وقد قال الله تعالى (والعاقبة للمتقين) وقال تعالى (والعاقبة للتقوى) وقال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) .

وروى الامام أحمد وابو داود والطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع » .

الوجه الثالث ان الحق في هذا هو ما دل عليه الكتاب والسنة واجماع المسلمين من جريان الشمس في الفلك بقدرة الله تعالى وثبات الأرض واستقرارها بأمر الله تعالى . لا ما زعمه الصواف مما هو قلب للحقيقة .

الوجه الرابع من اوابد الصواف وعظيم جراءته زعمه ان النصوص الدالة على جريان الشمس ظنية وليست قطعية الدلالة .

والجواب عن هذا الافك المبين ان نقول . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وفي هذا القول الوخيم دليل على فساد تصور قائله .

وكيف لا يكون كذلك وهو يرى ان نصوص الكتاب والسنة على اثبات جريان الشمس ظنية وليست قطعية الدلالة . وان الحق فيما تخيله كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من أهل الهيئة الجديدة وما تخرصوه من ثبات الشمس واستقرارها

وان هذا من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان .

يا سبحان الله العظيم ، أيكون وحي الرحمن إل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ظنياً وليس قطعي الدلالة ، ويكون وحي الشيطان إلى اوليائه من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان . هذا قول باطل ورعونة وسفه لا يقوله إلا من هو مصاب في دينه وعقله ، وقد قيل .

يقضي على المرء في أيـــام محنته　　حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وابلغ من هذا قول الله تعالى (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون) وقوله تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقوله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد . حذار من امرين لهما عواقب سوء . احدهما رد الحق لمخالفته هواك فانك تعاقب بتقليب القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأساً ولا تقلبه إلا إذا برز في قالب هواك قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) فعاقبهم على رد الحق اول مرة بأن قلب افئدتهم وابصارهم بعد ذلك .

والثاني التهاون بالأمر إذا حضر وقته فانك ان تهاونت به ثبطك الله واقعدك عن مراضيه واوامره عقوبة لك . قال تعالى (فان رجعك الله إلى طائفة منهم فأستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالعقود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين) فمن سلم من هاتين الآفتين فلتهنه السلامة انتهى .

الوجه الخامس ان الله تعالى قرن بين الشمس والقمر في مواضع كثيرة من القرآن وذكر عن القمر من الجري والسبح في الفلك والبزوغ والافول نظير ما ذكره عن الشمس فهل يقول الصواف بثبات القمر حول محوره وحركته حول نفسه وان الادلة على جريه

ظنية ليست قطعية الدلالة كما قد قال بذلك في الشمس أم لا . ان لم يقل بذلك فأنا نطالبه بابراز نص عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم يثبت للقمر الجري والسبح في الفلك والبزوغ والافوال دون الشمس ولن يجد إلى ذلك سبيلا البتة .

ومن اثبت الجري والسبح في الفلك والبزوغ والافول للقمر لزمه ان يثبت ذلك للشمس وان لم يفعل فقد فرق بين متماثلين وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعض .

الوجه السادس ان التوقف انما يكون في الامور التي لم يتبين وجهها . وكذلك التفويض انما يكون في الامور التي لا تعلم كيفيتها و جريان الشمس في الفلك ودؤبها في السير ليس من هذا الباب لأن الله تعالى قد نص على جريانها في عدة آيات من كتابه . ونص ايضاً على انما تسبح في الفلك . ونص ايضاً على انها بحسبان ، ونص ايضاً على دؤبها في السير . ونص ايضاً على انه يأتي بها من المشرق . ونص ايضاً على طلوعها ودلوكها وغروبها . ونص على ذلك رسول اللهصلىاللهعليه وسلم في عدة احاديثصحيحةفيجبعلىالمسلمان يعتقد ما جاء في كتاب الله تعالى وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ولا يتوقف فيه .

ويجب على العلماء ان يبينوا للناس ما خفي عليهم من ذلك ويبينوا حكم من رد النصوص الثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتوقفوا عن البيان فيلحقهم الوعيد على الكتمان .

والمبادرة إلى البيان اسلم للعلماء واحكم ، وتأخير البيان انما يكون من تثبيط الشيطان وصده عن اظهار الحق .

الوجه السابع ان الصواف قد عاب على الشيخ ابن باز لما بادر إلى بيان الحق الذي يجب عليه وعلى امثاله ان يبينوه ولا يكتموه . ولم ير هو عيب نفسه في مبادرته إلى نشر الباطل والذب عنه والمجادلة به لادحاض الحق ولو انه اشتغل باصلاح عيبه ولم يشتغل بلوم علماء المسلمين لكان خيراً له .

اقلوا عليهم لا ابـاً لابيكمُ   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

الوجه الثامن ان قـ ل الصواف ولكن هل من قال بحركة الارض إلى آخره . وتوقفه فيما توقف فيه وزعمه ان الادلة على حركة الشمس وسيرها ظنية وليست قطعية الدلالة .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على كثافة جهله بما اخبر الله به في كتابه وما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه المسلمون فيما يتعلق بجريان الشمس وثبات الارض واذا كان الصواف بهذه المثابة من الجهل فالاولى له السكوت وعدم الخوض فيما لا علم له به وترك الاعتراض على علماء المسلمين . ولكن حب الشهرة حمل الرجل على ان يهرف بما لا يعرف وان يخالف من هو اعلم منه فكان الامر فيه كما قيل .

خلافاً لقولي من فيالة رأيه كما قيل قبل اليوم خالف لتذكرا

فصل

قال الصواف ومع هذا فاني أود ان اقول لسماحتكم ان هذا القول (حركة الارض وثبوت الشمس) لم يقل به كفار الغرب من الامريكان وملحدوا الشرق من الروس فقط . بل الذي سبق اليه علماء مسلمون لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الاسلامية فهل نحكم بكفرهم وردتهم ونجردهم من الاسلام وهم قد افضوا إلى ما قدموا وقالوا في السماء والافلاك ما لم يصل اليه حتى الآن علماء الغرب ولا الشرق وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه قبل مئات السنين ما لم تقله لونا (٩) التي قيل انها حطت على سطح القمر وارسلت صورا تلفزيونية إلى الكوكب الارضي . ولقد دهشت حقاً وانا انظر إلى هذه الصور في الصحف وأقرأ ما قاله علماؤنا الأجلاء قبل ما يقارب الالف عام كيف وصل علماؤنا إلى ذلك كله مع قلة الوسائل وحداثة العلم الذي اشتغلوا فيه ونبغوا فيه نبوغاً حير الالباب واستخرج حتى من اعدائهم الاعجاب . ان العلماء المسلمين اول من اشتغل بعلم الفلك بعد اليونانيين الاقدمين واول من الف فيه الكتب والمصنفات واول من انشأ المراصد الفلكية في العالم وخصص لها المخصصات الطائلة من بيت مال المسلمين . ولقد أدت مراصد بغداد الفلكية في عهد هارون الرشيد وعهد المأمون في العصر العباسي الاول خدمات لعلم الفلك ذكرها وشكرها كثير من العلماء الفلكيين في القديم والحديث . وكذلك فعلت مراصد دمشق والقاهرة والرقة وسنجار ومراغة وسمرقند وطليطلة وقرطبة . بل ان هذه المراصد اضافت إلى علم الفلك اضافات مهمة

بعد أن أدمجت فيها مجموعة ما رصد في هذه المراصد اذ عينت انحراف سمت الشمس بثلاث وعشرين دقيقة واثنين وخمسين ثانية وهو ما يعادل الرقم الحاضر اليوم ثم رصد الاعتدال الشمسي فمكنهم من تعيين مدة السنة بالضبط .

قال ابن قتيبة عن علماء الفلك المسلمين الاقدمين انهم اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها . وفي عصر المأمون العباسي وضع ابناء شاكر قياساً للدرجة على الارض ووضعوا التقاويم للامكنة وقاسوا عرض بغداد وكان مقداره ثلاثاً وثلاثين درجة وعشرين دقيقة .

لقد مكث العالم المسلم محمد بن جابر بن سنان واحداً واربعين سنة يرصد النجوم والكواكب في مرصد الرقة في ارض الشام حتى تمكن من تصحيح بعض نتائج بطليموس اليوناني وجاءت نتائج ارصاد هذا العالم المسلم غاية في الدقة والضبط والاحكام والاتقان .

وابو الحسن المراكشي وهو من علماء القرن الثامن الهجري قام بجهود كبيرة في خدمة علم الفلك ولقد عني بضبط خطوط الطول والعرض لاحدى واربعين مدينة إفريقية واقعة ما بين مراكش والقاهرة .

وسجل العالم البتاني وهو احد عشرين عالماً فلكياً عالمياً سبقاً لم يتقدمه أحد اليه حتى قال المسعودي عنه أنه أول من كشف السمت والنظير وحدد نقطتيهما من السماء . لا اريد ان اتوسع في بيان ما صنعه علماء الاسلام من عجائب وغرائب في علم الفلك وهي كثيرة لا تحصى إذ انني اريد ان انتقل إلى صلب الموضوع وهو حركة الأرض والشمس .

والجواب ان يقال لو توسع الصواف فيما ذكره عن الفلكيين واطال الكلام بما لا فائدة فيه وما هو خارج عن الموضوع الذي قرره الشيخ ابن باز فكلامه ههنا في واد وكلام الشيخ في واد آخر .

والكلام على ما تضمنه كلام الصواف من الاخطاء من وجوه . احدها ان ما زعمه من سبق العلماء إلى القول بحركة الارض وثبات الشمس ليس بصحيح . وانما كان السابق إلى ذلك فيثاغورس اليوناني فهو أول من قال بحركة الارض وثبات الشمس وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحو خمسمائة سنة وقيل ستمائة سنة . وقد خالفه أهل الهيئة القديمة وكان قوله مهجوراً عندهم إلى ان جاء فلاسفة الافرنج المتأخرين ومنهم كوبرنيك

البولوني في القرن العاشر من الهجرة . ومنهم ايضاً هرشل الانكليزي واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد وكانوا في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر من الهجرة فنصروا قول فيثاغورس وردوا ما خالفه وسموا ما ذهبوا اليه الهيئة الجديدة . وكان ابتداء هذه الهيئة الجديدة من نحو اربعمائة سنة . وانما شاعت بين الناس منذ زمن قريب .

قال محمود شكري الالوسي في صفحة (٣) من كتابه الذي سماه ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير في هيئة الافلاك ونصره الفلاسفة المتأخرون بعد ان كان عاطلا مهجوراً وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية على الشمس وانها مركز نظامها وان الأرض احدى الكواكب السيارة وانها سابحة في الجو معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها كسائر الكواكب لا انها كما ذهب اليه بطليموس في الافلاك كالمسامير في الباب . .

قال وقد سماها الفلاسفة المتأخرون الهيئة الجديدة لكونها شاعت في العصر المتأخر والا فالقول بها متقدم جداً .

وذكر الالوسي ايضاً في صفحة ٤٣ ان المتأخرين ممن انتظم في سلك الفلاسفة كهرشل واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد تخيلوا خلاف ما ذهب اليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بأن الشمس مركز والارض وكذا النجوم دائرة حولها .

وذكر الالوسي ايضاً في صفحة ٢٩ ما ذهب اليه اصحاب الزيج الجديد من ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم وان الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها .

وقال ايضاً في صحة ٣٣ ما ملخصه ، والمنجمون يقسمون النجوم إلى ثوابت وسيارات والسيارات عند المتقدمين سبع باجماعهم وعند المنجمين اليوم وهم اهل الهيئة الجديدة ان الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها وان لها حركة على نفسها وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وان الأرض احدى السيارات وهي عندهم عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووسنة وقد كشفها رجل منهم يقال له « أولبوس » في حدود سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف للهجرة (ونبتون) وقد كشفها رجل منهم يقال له « هاردنق » في حدود سنة عشرين ومائتين والف للهجرة

(وسيرس) وقد كشفها رجل منهم يقال له « بياظي » في حدود سنة ست عشرة ومائتين والف للهجرة (وبلاس) وقد كشفها « أولبوس » ايضاً في حدود سنة سبع عشرة ومائتين والف . والمشتري وزحل (واورانوس) وقد كشفها رجل منهم يقال له « هرشل » في حدود سنةسبع وتسعين ومائة والف للهجرة .

وذكر الالوسي ايضاً في هامش صفحة ٤٦ ان المتأخرين من الفلاسفة الافرنج ذهبوا إلى ان الكواكب تتحرك بأنفسها من غير ان تكون مركوزة في جسم آخر .

وقال ايضاً في صفحة ٥٩ ما نصه . ثم قال تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) في هذه الآية تنبيه اجمالي على قدرة الله تعالى . أي في تعاقب الليل والنهار وكون كل منها خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين عند اكثر الفلاسفة لحركة الفلك الاعظم حول مركزه على خلاف التوالي فانه يلزمها حركة سائر الافلاك وما فيها من الكواكب مع سكون الأرض على ما زعموا . وهذا في كثير من المواضع ، وأما في عرض تسعين فلا يطلع شيء ولا يغرب بتلك الحركة اصلا بل تحركات أخرى وكذا فيما يقرب منه قد يقع طلوع وغروب بغير ذلك وتسمى تلك الحركة « الحركة اليومية » وجعلها بعضهم وهم فلاسفة الافرنج بتمامها للأرض وجعل آخرون بعضها للأرض وبعضها للفلك الاعظم . والقرآن العظيم ساكت عن المذهبين وذلك من براهين اعجازه .

قلت ليس الأمر كما زعمه الالوسي فان الله تعالى قد نص على جريان الشمس في عدة آيات من القرآن . ونص ايضاً على انها تسبح في الفلك والسبح المر السريع ، ونص ايضاً على انها بحسبان . ونص ايضاً على دؤبها في السير ، ونص ايضاً على اتيانها من المشرق وعلى طلوعها وغروبها ودلوكها أي زوالها ، وجاء في القرآن عدة آيات تدل على سكون الأرض واستقرارها . فكيف يقال ان القرآن ساكت عن المذهبين وهو قد أيد قول من قال بجريان الشمس وسكون الأرض ورد قول من قال بخلاف ذلك .

وقال الالوسي ايضاً في صفحة ٦٧ و ٦٨ ما ملخصه قال أهل الهيئة الجديدة الأرض جرم من الاجرام السماوية . يعني انها جرم من الاجرام التابعة للشمس وهي السيارات الدائرة حولها على ابعاد متفاوتة وسميت (النظام الشمسي) وشكلوا لذلك شكلا في وسطه

الشمس ثم عطارد وهو اقرب إلى الشمس من سائر السيارات المعروفة وبعده الزهرة ثم الأرض ثم قمرها ثم المريخ ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرماً صغيراً تسمى النجيمات أو الشبيهة بالسيارات ثم المشتري ثم زحل ثم اورانوس ثم نبتون – إلى ان قال – وقالوا في شأن الأرض وحركتها . السيار التابع للنظام الشمسي الذي نحن ساكنون عليه هو الأرض وانها كروية الشكل – إلى ان قال – وذهبوا إلى ان حركتها وكذا سائر الاجرام السماوية من الغرب إلى الشرق . وذهبوا الى ان لها حركة أخرى غير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية فللأرض عندهم حركتان حركة يومية وهي دورانها على محورها مرة من الغرب إلى الشرق ومنها اختلاف الليل والنهار وحركة من الغرب إلى الشرق حول الشمس مرة واحدة كل سنة . هذا ما ذكره علماء الهيئة الجديدة في شأن الأرض . وقد تصفحت القرآن العظيم الشأن فوجدت عدة آيات نطقت بما يتعلق بالارض من جهة الاستدلال بها على وجود خالقها وعظمة باريها ولم يذكر فيها شيء مما يخالف ما عليه أهل الهيئة اليوم .

قلت ليس الأمر على ما قاله الالوسي بل في القرآن آيات كثيرة تدل على سكون الأرض واستقرارها . وفيه نصوص كثيرة تدل على جريان الشمس ودؤبها في السير وقد ذكرت ذلك مستقصى في أول الكتاب فليراجع .

وقال الالوسي ايضاً في صفحة ٩٥ وأما قوله (وكل في فلك يسبحون) فالفلك في الاصل كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل والمراد به هنا على قول كثير هو موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر . وعن الضحاك هو ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم . وفيه القول باستدارة السماء . قال وغاية ما نقول ان الفلاسفة اليوم من الافرنج واهل الارصاد القلبية والمعارج المعنوية خالفوا قول بعض الفلاسفة المتقدمين المخالف لقولهم انتهى المقصود مما ذكره الالوسي . وفيه رد لما زعمه الصواف من سبق العلماء المسلمين إلى القول بحركة الارض وسكون الشمس . وبيان ان اول من تخيل حركة الأرض وثبات الشمس بعد فيثاغورس وأصحابه هم فلاسفة الافرنج المتأخرون مثل كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما اصحاب الرصد والزيج الجديد وقد تلقى ذلك عنهم كثير من ضعفاء البصيرة من المسلمين ولا سيما في هذا القرن وهو

القرن السابع عشر من الهجرة .

وقبل ظهور أهل الهيئة الجديدة من الافرنج لا نعلم عن احد من المسلمين خلافاً في سكون الأرض وجريان الشمس .

وقد تقدم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي من اجماع أهل السنة على وقوف الأرض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها .

وتقدم ايضاً ما حكاه القرطبي من اجماع المسلمين وأهل الكتاب على ذلك .

وتقدم ايضاً ذكر النصوص من الكتاب والسنة على جريان الشمس ودؤبها في السير وذلك ما لاخلاف فيه بين المسلمين منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى ان ظهر المقلدون لكوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من أهل الهيئة الجديدة منذ زمن قريب فاحدثوا بين المسلمين خلافاً لم يكن معروفاً بينهم من قبل .

ولا عبرة بخلاف هؤلاء المخدوعين بزخارف اعداء الله تعالى وتخرصاتهم الكاذبة .

وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم محجوجون بنصوص الكتاب والسنة واجماع المسلمين على خلاف ما ذهبوا اليه .

الوجه الثاني ان يقال من هم العلماء المسلمون الذين لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الاسلامية وقد قالوا بحركة الأرض وثبات الشمس وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه ما لم يقله اهل هذه الازمان . اننا نتحدى الصواف ان يسمى علماء المسلمين الاجلاء الذين قالوا هذه الاقوال قبل ما يقارب الالف عام وان يذكر كتبهم التي اثبتوا فيها ذلك ان كان صادقاً . وما ابعده من الصدق .

الوجه الثالث ان يقال ان اعظم هذه الامة قدراً وأرجحهم وزناً في تاريخ الحضارة الاسلامية هم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ولم يقل احد منهم بحركة الأرض وثبات الشمس بل المأثور عنهم خلاف ذلك . وكذلك لم يتهجموا على الغيب ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه .

ثم التابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم ولا سيما الأئمة الاربعة واقرانهم من اكابر العلماء وكذلك من كان بعدهم من الأئمة الاعلام فكل هؤلاء لم

يقلع أحد منهم بحركة الأرض وثبات الشمس ولم يتهجموا على الغيب ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه .

فمن حاد عن منهاج الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم وقال بخلاف قولهم فقوله مردود عليه .

وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

الوجه الرابع ان يقال ان كوبرنيك البولوني واتباعه في آخر القرن العاشر من الهجرة والقرن الحادي عشر وكذلك هرشل الانكليزي واتباعه من الافرنج مثل أولبوس وهاردنق وبياظى وغيرهم من فلاسفة الافرنج في آخر القرن الثاني عشر من الهجرة واول القرن الثالث عشر هم الذين سبقوا إلى القول بحركة الأرض وثبات الشمس وقد كان القول به مهجوراً منذ ذهب فيثاغورس اليوناني واصحابه إلى ان جاء هولاء الافرنج أصحاب الهيئة الجديدة فنصروه وردوا ما خالفه . فهل يقول الصواف ان هؤلاء علماء مسلمون لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الاسلامية .

الوجه الخامس لو فرضنا صحة ما زعمه الصواف من سبق بعض المسلمين إلى القول بحركة الأرض وثبات الشمس فهو قول باطل مردود لمخالفته للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة ومخالفته ايضاً لاقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم . ومخالفته ايضاً لاجماع المسلمين على ثبات الأرض ووقوفها .

وكل قول خالف نصاً من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو خالف اجماع المسلمين فمضروب به عرض الحائط ومردود على قائله كائنا من كان .

وقد ذكرت آنفاً ان الذين سبقوا إلى القول بحركة الأرض وثبات الشمس هم فيثاغورس اليوناني وأصحابه وبعدهم أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج . وكان ابتداء الهيئة الجديدة من نحو اربعمائة سنة . ولا يعرف عن احد من علماء المسلمين قبل ظهور الهيئة الجديدة فقد كان بعض المنتسبين إلى العلم يقلدون اهلها ويحسنون الظن بهم . وكما انه لا يعتد بأقوال اعداء الله تعالى في شيء من المسائل العلمية فكذلك لا يعتد بأقوال مقلديهم بطريق الأولى والله اعلم .

الوجه السادس ان ما زعمه اعداء الله تعالى من وصول لونا (٩) إلى القمر ورسوها على سطحه وارسالها الصور التلفزيونية إلى الأرض كله كذب وتمويه على الاغبياء ، والأمر في هؤلاء الكذابين كما قيل في اسلافهم .

سلاحهم في وجوه الخصم مكرهمُ ... وخير جندهم التدليس والكذب

ومن اين لاعداء الله تعالى ان يصلوا إلى القمر وتصل مصنوعاتهم اليه وهو في السماء بنص القرآن . وبين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما دلت على ذلك النصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقدرة البشر تعجز عن الوصول إلى السماء والصعود في الجو مسيرة خمسمائة سنة .

ولعل اعداء الله تعالى إذا سقطت لهم سفينة فضائية في البحر أو في مكان مجهول من البر ولم يدروا اين ذهبت قالوا انها ذهبت إلى القمر ورست على سطحه . وقد وجد لهم غير ما سفينة فضائية ساقطة .

والصور التي يزعمون انها ارسلت اليهم من القمر لا شك انها من مخرقتهم وصنع ايديهم فانهم معروفون بالمخرقة والتدجيل قديماً وحديثاً . وقد ذكر العلماء عنهم من ذلك شيئاً كثيراً . ولا يغتر بأباطيل اعداء الله تعالى ويصدق بها ويندهش لمخرقتهم وتدجيلهم إلا من هو ناقص العقل .

ومن اين للصور التلفزيونية ان تصل إلى الأرض من مسيرة خمسمائة سنة وهي لا تتجاوز في الارض مسيرة عشرة ايام أو نحوها إذا كانت قوية . فوصولها من القمر محال . ومن زعم وصولها منه فهو من اكذب الكاذبين .

ومن مخرقة اعداء الله تعالى وتدجيلهم فيما يتعلق بالقمر زعمهم ان فيه ارضاً صالحة للنبات والسكنى فهم لذلك يرومون الانتقال اليه والبناء فيه والسكنى . وكثير من الجهال يصدقونهم في هذه المزاعم الكاذبة .

وليس لأعداء الله تعالى ذهاب ولا محيص عن هذه الأرض التي خلقوا منها ولو بلغوا في قوة الصناعة ما بلغوا فمردهم إلى الأرض لا محالة . قال الله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وقال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (والله انبتكم من

الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً) .

وفي هذه الآيات رد على من زعم ان السكنى في القمر أو في غيره من الأجرام العلوية ممكنة لبني آدم .

وايضاً فان الله تعالى قد حرس السماء من الشياطين كما جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن .

والقمر في السماء بنص القرآن فهو محروس من وصول الشياطين اليه والاستقرار على سطحه ، وسواء في ذلك شياطين الجن وشياطين الانس ، بل ان شياطين الانس شر من شياطين الجن كما جاء ذلك فيما رواه ابن جرير عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا ابا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والانس قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن » .

فان قيل ان الشياطين انما منعوا من استراق السمع وليس ذلك مراد الذين يرومون الوصول إلى القمر .

فالجواب ان يقال ان المنع من استراق السمع يدل على المنع مما هو اعظم منه كالبناء والسكنى والمجاورة لاهل الملأ الاعلى . فالذين يرومون هذه الامور من شياطين الانس أولى بالطرد والابعاد من الذين يسترقون السمع فقط .

وقد نشرت جريدة المدينة في عددها ٥٨٧ الصادر بتاريخ ٢١-١١-١٣٨٥ هـ كلاماً لبعض علماء الامريكان وهو « برنارد لوفيل . مدير مرصد جلويل بانك » يندد فيه بالامريكان والروس على السواء لتنافسهم في السباق إلى القمر . وقال ان التنافس نابع من صميم غباوة الانسان . ومضى يقول ان الطبيعة الانسانية تواجه فشلا كبيراً إذ تعالج هذه المهمة ليس فقط بصورة منفصلة بنفقات باهظة . بل وباخفاق الشعبين اللذين يقومان بها في تبادل المعلومات وعلى الاخص في وجه المشكلات الفنية الهندسية والعلمية والانسانية التي تجابهها حضارة العالم .

هذه خلاصة كلامه الذي توخى فيه بيان الامر على الحقيقة وهذا الكاتب وان كان غير مسلم فهو في الحقيقة اعقل من اغبياء المسلمين الذين يصدقون اعداء الله في كل ما قالوه ويندهشون لمخرقتهم وتدجيلهم .

الوجه السابع ان اطلاق اسم الكوكب على الأرض خطأ وضلال . والذين اطلقوا عليها اسم الكوكب هم الذين زعموا انها تسير كما تسير الكواكب وتدور على الشمس وهم أهل الهيئة الجديدة من الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من جهال المسلمين . وهذا خلاف ما سماها الله به في كتابه وما سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع المسلمين سوى الاغبياء المقلدين لأهل الهيئة الجديدة .

ولازم هذا القول ان تكون الارض من جملة الزينة التي زين الله بها السماء الدنيا وجعلها رجوماً للشياطين . لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز (أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة » وقد تقدم ذكر هذه الاحاديث .

واذا كان بين السماء والأرض هذا البعد الشاسع فكيف يقال ان الأرض كوكب من جملة الكواكب التي جعلها الله زينة للسماء الدنيا . هذا من ابطل الباطل ولا يقوله من له أدنى مسكة من عقل .

وايضاً فقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أنه جعل الأرض فراشاً والسماء بناء ، واخبر في آية أخرى أنه جعل السماء سقفاً محفوظاً . وقال تعالى في آية أخرى (والسقف المرفوع) فدل القرآن على ان الارض هي اسفل البناء والسماء سقفه .

وما كان اساس البناء واسفله كيف يقال انه كوكب من جملة زينة سقفه المرفوع . هذا تخبيط لا يقوله من يعلم ما يقول .

وقد قال الراغب الاصفهاني الأرض الجرم المقابل للسماء ويعبر بها عن اسفل الشيء كما يعبر بالسماء عن اعلاه .

وقال ابو الفرج ابن الجوزي في تفسيره انما سميت الأرض ارضاً لسعتها . وقيل لانحطاطها عن السماء وكل ما سفل فهو ارض وسميت السماء سماء لعلوها .

وقال القرطبي في تفسيره السماء للأ ض كالسقف للبناء . ولهذا قال تعالى وقوله

الخلق (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) وكل ما علا واظل قيل سماء .

وقال ايضاً والسماء ما علا والارض ما سفل .

وقال الجوهري وغيره من ائمة اللغة كل ما سفل فهو ارض .

وروى ابن جرير في تفسيره من طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (السماء بناء) فبناء السماء على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض واذا كانت الأرض سافلة والسماء عالية عليها وسقفاً فوقها فلا يقول ان الأرض كوكب من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء الا من هو من اجهل الناس .

وبعد تحرير هذا الموضع وقفت على كلام للشيخ مد بن يوسف الكافي التونسي رد به على من زعم ان الارض كوكب من جملة الكواكب التي تدور حول الشمس ، وقد رأيت ان اسوقه ههنا لما فيه من تحقيق الحق وابطال الباطل .

قال في كتابه « المسائل الكافية ، في بيان وجوب صدق خبر رب البرية » ما نصه :

(المسألة التاسعة والتسعون) في الجزء المذكور يعني الجزء الرابع عشر من مجموعة مجلة المنار — صفحة ٥٧٨ قال بعض اشياع محمد عبده مع مشاركة الشيخ رشيد رضا في بعض كلامه . ما هذه الأرض التي نعيش عليها . هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشمس وتسمى بالسيارات .

قال الشيخ الكافي في الرد عليه .

(قوله) هي كوكب . كذب وافترى على الله تعالى من سماها كوكباً لأن الله تعالى الذي خلقها سماها ارضاً .

والكوكب هو النجم ومحله العلو .

والكوكب من وصفه الاضاءة والأشراق والطلوع والافوال والارض بخلاف ذلك .

وقوله من الكواكب التي تدور بمركز الشمس ممنوع لأنه تقدم ان الأرض ساكنة فارجع اليه ان شئت انتهى .

وكلامه الذي اشار اليه هنا وانه قد تقدم قد ذكرته مستوفي مع الكلام على تكفير من يقول بحركة الأرض وسيرها فليراجع هناك .

الوجه الثامن ان علماء المسلمين الذين هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم كالخلفاء الراشدين وسائر علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة العلم والهدى من بعدهم لم يكن أحد منهم يشتغل بعلم الفلك ولم يؤلفوا فيه شيئاً ولم ينشئوا شيئاً من المراصد الفلكية كما قد يوهمه قول الصواف ان العلماء المسلمين أول من اشتغل بعلم الفلك إلى آخره .

وانما الذين كانوا يشتغلون بعلم الفلك والتأليف فيه وانشاء المراصد الفلكية صنفان من الناس وهم الفلاسفة والمنجمون . وكثير من المنتسبين منهم إلى الاسلام كانوا متهمين في دينهم . بل منهم من هو شر على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى وسائر المشركين مثل نصير الكفر الطوسي وابن سينا القرمطي الباطني وغيرهم من الفلاسفة الذين كانوا ينتسبون الى الاسلام وهم في غاية البعد منه بل هم الاعداء الألداء للاسلام واهله على الحقيقة .

ثم لو سلمنا تسليماً جدلياً ان احدا من علماء المسلمين اشتغل بعلم الفلك وألف فيه شيئاً من المؤلفات فهم لم يقولوا بثبات الشمس وحركة الأرض ودورانها على الشمس .

الوجه التاسع ان انشاء المراصد الفلكية عند المسلمين انما كان في زمن المأمون حين عربت كتب الاوائل ومنطق اليونان . قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة شجاع بن الوليد بن قيس . لما قتل الامين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وابدى صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت كتب الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية – إلى ان قال – ان من البلاء ان تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ويماري في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة . فالقرار قبل حلول الدمار . وإياك ومضلات الاهواء ومحارات العقول . ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم انتهى كلامه رحمه الله تعالى . فذكر انه بسبب تعريب كتب الاوائل ومنطق اليونان وانشاء المراصد الفلكية نشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين .

وهذا العلم المردي المهلك هو الذي نجم عنه القول بسكون الشمس ودوران الأرض والكلام في السموات والاجرام العلوية بمجرد الآراء والظنون الكاذبة .

وقد كان الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان في عافية من هذا العلم المردي المهلك وانما شغف به المتأخرون في زماننا لبعدهم عن منهاج الصحابة والتابعين وشدة ميلهم إلى قول الافرنج وتمسكهم بآرآئهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الوجه العاشر ان الظاهر من صنيع الصواف حيث ذكر الفلكيين ههنا واطنب في ذكرهم وذكر مراصدهم والثناء عليهم مع ان ذلك خارج عن موضوع البحث الذي هو بصدده أنه اراد ايهام من لا علم عنده انهم كانوا يقولون بحركة الأرض وثبات الشمس . وليس الامر كذلك فان الفلكيين الذين ينتسبون الى الاسلام من قبل ظهور أهل الهيئة الجديدة كانوا على مذهب أهل الهيئة القديمة في القول بجريان الشمس وثبات الأرض ، واذاً فأي فائدة في ذكرهم ههنا وذكر مراصدهم لولا قصد الايهام الذي أشرنا اليه .

الوجه الحادي عشر ان الصواف صرح ان محمد بن جابر مسلم ثم ذكر بعده البتاني وجعله من جملة علماء المسلمين الذين اثنى عليهم . ويظهر من كلامه انه يرى ان البتاني غير محمد بن جابر . وهذا بخلاف ما ذكره محمد فريد وجدي في كتابه دائرة المعارف فأنه ذكر ان محمد بن جابر هو البتاني وانه ليس بمسلم وانما من الصابئين وذكر عنه أنه رصد النجوم نحواً من احدى واربعين سنة . وانه كان يرصد في الرقة وفي انطاكية ومحمد فريد وجدي اعلم بالفلكيين من الصواف فكلامه ههنا المعتمد لا ما توهمه الصواف .

فصل

قال الصواف (حركة الأرض) يؤسفني انه ليس لدي الآن من المصادر الاسلامية الكثيرة لعلم الفلك سوى كتاب واحد وفيه البركة باذن الله وفيه ما يغني ويسد في

موضوعنا هذا .

والكتاب لمؤلفه السيد (محمود شكري الالوسي) العالم العراقي السلفي المعروف . وقد فرغ في تأليفه في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٩ أي قبل سبعة واربعين سنة . واسم الكتاب (ما دل عليه القرآن الكريم مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان) واود هنا ان انقل ما قاله هذا العالم السلفي قبل مايقرب من خمسين سنة حول حركة الأرض وجريانها وما نقله هو عن علماء الهيئة وهم مسلمون عرف اكثرهم بالتقوى والصلاح . ورأيه هو فيما سأنقله الكفاية فيما احسب في رد الامر إلى نصابه وبيان الحق الصراح وصوابه الذي نطق به علماء الاسلام قبل ان يكون للكفار والمشركين علم فلك ولا نظر في النجوم .

فقد قال رحمه الله في صفحة ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ من كتابه . ومن آيات سورة الرعد قوله تعالى (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) هذه الآية متصلة بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الآية فانه سبحانه لما ذكر من الشواهد العلوية ما ذكر اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال (وهو الذي مد الارض) قال علماء الهيئة الجديدة الأرض جرم من الاجرام السماوية يعني انها جرم من الاجرام التابعة للشمس وهي السيارات الدائرة حولها على ابعاد متفاوتة وسميت (النظام الشمسي) وشكلوا لذلك شكلا في وسطه الشمس ثم عطارد وهو اقرب إلى الشمس من سائر السيارات المعروفة وبعده الزهرة ثم الارض ثم قمرها ثم المريخ ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرماً صغيراً تسمى النجيمات أو الشبيهة بالسيارات ثم المشتري ثم زحل ثم اورانوس ثم نبتون ثم بُعد مهول وخلاء مجهول حتى ينتهي إلى اقرب النجوم الثوابت التي يعد كل احد منها شمساً لا يرى توابعاً للبعد الشاسع والنظام الشمسي ينتهي عند نبتون اعني لا يعرف سياراً بعد من نبتون . بل انه إلى الآن لم يكشف عن وجود جرم تابع للنظام الشمسي ابعد من المذكور ، والنجوم الثوابت ليست من النظام الشمسي بل هي انظمة مستقلة ترى منها شمسنا كما ترى هي من عندنا أي نقطاً لامعة نيرة في الطبقة الزرقاء ، ثم قال الالوسي رحمه الله ، قالوا أي علماء الهيئة في شأن الأرض ايضاً وحركتها ، السيار التابع للنظام الشمسي الذي نحن

ساكنون عليه هو الأرض وانها كروية الشكل واقاموا على ذلك دلائلهم المعلومة في كتبهم (وممن قال بكرويتها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وانها أي الأرض على عظمها سابحة في الفضاء وليست لها حافة ينتهي اليها من يجوب سطحها كما إذا مشت ذبابة على بطيخة معلقة فهي لا تنتهي إلى حافة كذلك الارض الكروية الشكل السابحة في الفضاء ليس لها حافة ينتهي اليها من يجوب سطحها وهي عائمة في الفضاء ، وذهبوا إلى ان حركتها وكذا سائر الاجرام السماوية من الغرب إلى الشرق لا كما يتراءى ان حركة هذه الاجرام من الشرق إلى الغرب (وهذا ما يقوله علماء الفلك اليوم) وذهبوا الى ان لها أي الأرض حركة أخرى غير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية ، فللارض عندهم حركتان يومية وهي دورانها على محورها مرة من المغرب إلى الشرق ومنها اختلاف الليل والنهار وحركة من الغرب إلى الشرق حول الشمس مرة واحدة كل سنة . ثم قال الالوسي العالم السلفي المنصف رحمه الله . هذا ما ذكره علماء الهيئة الجديدة في شأن الأرض . وقد تصفحت القرآن ، العظيم الشأن فوجدت عدة آيات نطقت بما يتعلق بالأرض من جهة الاستدلال بها على وجود خالقها وعظمة باريها ولم يذكر فيها شيء مما يخالف ما عليه علماء أهل الهيئة اليوم ولا ينافي كرويتها ما يدل ظاهرها على المد والبسط والفرش فان هذا كله لا ينافي الكروية لأن المراد من بسطها وتوسعتها ومدها ما يحصل به الانتفاع لمن حلها ولا يلزم من ذلك نفي كرويتها كما ان الكرة العظيمة لعظمها ترى كالسطح المستوي وكان كل قطعة منها سطح مفروش يصح القعود والنوم عليه ، والكرة كلما عظمت قربت اقواس سطحها إلى الخط المستقيم . وفي الشريعة دلائل كثيرة تدل على كروية الارض والسماء منها اعتراف الائمة باختلاف المطالع فان الصبح في بعض البلاد يوافق المساء في بلاد أخرى . وطلوع الهلال في بعض الآفاق يوافق غيبوبته في بلاد أخرى . وهكذا الشمس وسائر الكواكب ففي بعض الآفاق يرى القطب الشمالي فوق رءوس اهله والقطب الجنوبي لا يرى اصلا . وسكنة خط الاستواء يرون القطبين على الافق . وفي بعض البلاد تكون الحركة فيه دولابية وفي البعض حمائلية وفي البعض رحوية كل ذلك مبني على كروية الارض ولولاها لما كان شيء من ذلك . وقوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لا ينافي الكروية وما على الأرض من الجبال والاودية والبحار لا يخرج الارض عن

الكروية فان اعظم جبل بالنسبة اليها كنسبة سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع وقوله تعالى (وجعل فيها رواسي) معناه جعل فيها جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ، وفي الخبر « لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الله الجبال عليها فاستقرت فقالت الملائكة ربنا خلقت خلقاً اعظم من الجبال قال نعم الحديد قال نعم النار فقالوا ربنا خلقت اعظم من النار قال نعم الماء فقالوا ربنا خلقت اعظم من الماء قال نعم الهواء فقالوا ربنا خلقت خلقاً اعظم من الهواء قال نعم ابن آدم يتصدق الصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله » فقال الالوسي رحمه الله بعد هذا . وهذا ايضاً لا ينافي حركة الأرض اليومية والسنوية التي قال بها أهل الهيئة فان الله تعالى لو لم يخلق في الأرض الجبال لمادت أي اضطربت والميد اضطراب الشيء العظيم . فلما القى فيها الرواسي وهي الجبال الثوابت انتفى ذلك ووجه كون الالقاء مانعاً من اضطراب الأرض انها كسفينة على وجه الماء والسفينة إذا لم يكن فيها اجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلى جانب بادنى حركة شيء وان وضعت فيها اجرام ثقيلة تستقر فكذا الارض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت فالجبال بالنسبة اليها كالاجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة اليها ، والمقصود ان جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه كما ان السفينة إذا كان فيها اجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلى جانب لا ينافي حركتها . وسنزيد ذلك بياناً فيما يناسب من الآيات الآتية ان شاء الله تعالى انتهى كلام الالوسي فهل رأيتم كلاماً أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها أليس هذا من مفاخر علمائنا وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية، ان هذا الكتاب (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان) انتهى صاحبه من تأليفه كما قلت منذ قرابة خمسين عاماً ومع هذا ففيه من الكلام الواضح الذي يدل على ما بلغوه من الدرجات العليا في العلوم الكونية وحركات الافلاك رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء .

والجواب عما في هذا الفصل يتلخص في عشرة أمور .

الأول منها مدحه لكتاب الالوسي المسمى (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) وزعمه ان فيه البركة —.

والجواب أن نقول ان البركة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما خالفهما أو لم يكن له مستند منهما فهو قليل البركة أو عديمها ؛

وكتاب الالوسي فيه اشياء كثيرة ليس لها مستند صحيح وفيها ما هو مخالف للكتاب والسنة فلهذا لا خير فيه ولا يستحق المدح . والامثلة على ذلك كثيرة .

واقول قبل ذكر الامثلة ان في نفسي شكاً من صحة نسبة الكتاب إلى محمود الالوسي لأمرين ، أحدهما ما عرف عنه من حسن العقيدة والرد على عباد القبور وأهل البدع ولا سيما في كتابه « غاية الاماني في الرد على النبهاني » ومن كان هكذا فبعيد ان يصدر منه الكتاب المسمى (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) .

والثاني ان الذي ابرز هذا الكتاب من أهل العراق قد قيل عنه ما قيل مما يقدح في عقيدته . وعلى هذا فلا يؤمن ان يكون قد نسب الكتاب إلى الالوسي وهو لم يتحقق نسبته اليه والله اعلم وقد نسبت النقل من الكتاب إلى الالوسي جرياً على نسبة الكتاب اليه ، والمقصود من ذلك رد الكلام الباطل سواء كان للالوسي اومفترى عليه .

فمن الامثلة على نقصان الكتاب المشار اليه وقلة بركته ان المصنف قرر في صفحة ١٥ و ١٦ ان خلق السماء مقدم على خلق الأرض وتعسف في توجيه ذلك بما لا حاصل تحته وأجاب عن قول الله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) بأن الخلق في الآية الكريمة بمعنى التقدير لا الايجاد . أو على تقدير الارادة والمعنى اراد خلق الارض ، وكذا قوله تعالى (وجعل فيها رواسي) الآية معناه اراد ان يجعل . وكذ قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في لأرض جميعاً) معناه قدره أو أراد ايجاده أو أوجد مواده .

وكل هذا تخبيط مخالف لنص الآية من سورة البقرة ولنصوص الآيات من سورة حم السجدة وهو مردود لانه من تحريف الكلم عن مواضعه .

وقد تقدم قول شيخ الاسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتاوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه .

وقد قرر ابن كثير وغيره من المفسرين ان الأرض خلقت قبل السماء . وذكر ابن

كثير أقوال السلف في ذلك واستدل على ذلك بالآية من سورة البقرة وبالآيات من سورة حم السجدة . ثم قال فهذه وهذه دالتان على ان الارض خلقت قبل السماء وهذا ما لا اعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة انه زعم ان السماء خلقت قبل الارض . وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (أأنتم اشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . واغطش ليلها واخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها) قال فذكر خلق السماء قبل الأرض .

وفي صحيح البخاري ان ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وان الارض انما دحيت بعد خلق السماء . وكذلك اجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً انتهى .

ومنها قوله في صفحة ١٩ عن هذا الفضاء انه ليس له مبدأ ولا انتهاء .

وهذا خطأ ظاهر وفيه موافقة لما ذكره في صفحة ٣٤ عن أهل الهيئة الجديدة ان سعة الجو غير متناهية عندهم . ومعنى هذا نفي وجود السموات السبع وما فوقهن من الكرسي والعرش العظيم .

وقد رد عليه المصنف في نفيهم وجود السموات ثم وافقهم من حيث لا يشعر .

والحق الذي تدل عليه الاحاديث الصحيحة ان هذا الفضاء الذي نحن فيه يبتدي من الأرض وينتهي إلى السماء الدنيا ومسافته من كل جانب خمسمائة سنة . ثم بين كل سمائين فضاء مسافته من كل جانب خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة سنة ، وبين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة سنة ، والعرش فوق ذلك . والله تعالى فوق العرش . والادلة على هذا قد تقدم ذكرها مع الادلة على ثبات الارض واستقرارها فلتراجع ، وحسبنا ان نعتمد على ما صحت به الاحاديث ولا نتعداه ففي ذلك الكفاية والعصمة من الخطأ والزلل .

ومنها أنه ذكر في صفحة ٢١ ان الحكمة الباطنة في اختلاف تشكلات القمر النورية ان ذلك لاختلاف احوال المواليد العنصرية .

وهذا تخرص لا دليل عليه من كتاب ولا سنة .

وقد بين الله تعالى الحكمة في تقدير القمر منازل فقال تعالى (لتعلموا عدد السنين

والحساب) وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) .

واختلاف تشكلات القمر النورية تابع لتنقله في المنازل فلا يقال في ذلك بشيء لم يخبر الله به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنها أنه أتى في صفحة ٢٥ و ٢٦ بجملة من أقوال أهل البدع وهذيان الصوفية في الكرسي ، وقد تعقب ذلك بكلام بارد لا يشفي في ردها ، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة فانهم كانوا لا يعبأون بأقوال أهل البدع ولا يذكرونها مع أقوال أهل السنة ولا يعدون خلافهم خلافاً في الحقيقة ، واذا ذكروا شيئاً من أقوالهم ذكروه مقروناً بالرد البليغ والانكار الشديد والتحذير من الاغترار به لا بالتمليس والرد الضعيف كما فعله الالوسي .

ومنها أنه ذكر في صفحة ٢٩ ما ذهب اليه أصحاب الزيج الجديد من ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم وان الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها واقاموا على ذلك الأدلة والبراهين بزعمهم وبنوا عليه الكسوف والخسوف ونحوهما ولم يتخلف شيء من ذلك .

قلت هذا القول معارض بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة والاجماع على جريان الشمس وسكون الارض . وقد تقدم ذكرها في أول الكتاب فلتراجع .

وليس من أهل الزيج الجديد برهان على ما زعموه سوى التخرصات والظنون الكاذبـــة .

ومنها ما ذكره في صفحة ٣٣ عن أهل الهيئة الجديدة ان الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها وان لها حركة على نفسها وان ليس لها حركة حول الارض بل للارض حركة حولها وان الارض احدى السيارات .

وكل هذا تخرص لا دليل عليه . وقد تقدم رده ربيان بطلانه بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة والاجماع .

ومنها قوله في صفحة ٤٢ في الخبر ان الارض بالنسبة إلى السماء الدنيا كحلقة في فلاة وهو بالنسبة إلى العرش كذلك .

قلت هذا غلط . ولفظ الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه انه سأل النبي

صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة رواه ابن مردويه .

ومنها أنه قال في صفحة ٦١ الكثير على ان الارض كرة واحدة منقسمة إلى سبعة اقاليم وحملوا الآية على ذلك – يعني قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) .

وهذا خطأ ينبغي للالوسي ان ينبه عليه لئلا يغتر به .

وقد قال ابن كثير في قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) أي سبعاً أيضاً كما في الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه ممن سبع ارضين » وفي صحيح البخاري « خسف به إلى سبع ارضين » ومن حمل ذلك على سبعة اقاليم فقد ابعد النجعة واغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند انتهى .

ومنها أنه في صفحة ٦٣ قال في الله تعالى أنه ليس بجسم ولا جسماني .

وهذا من أقوال اهل البدع . وأما السلف الصالح فانهم لم يتكلموا في الجسم بنفي ولا إثبات .

قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى لفظ الجسم في اسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الامة وأئمتها فلم يقل أحد منهم ان الله تعالى جسم ولا أن الله تعالى ليس بجسم .

وقال الشيخ أيضاً في موضع آخر لم ينقل عن احد من الانبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الامة ان الله جسم أو ان الله ليس بجسم بل النفي والاثبات بدعة في الشرع انتهى

واذا علم هذا فليس بالنافي على الحقيقة من لم يسعه ما وسع السلف الصالح من السكوت عن الكلام في الجسم وعدم التعرض له بالنفي أو الاثبات .

ومنها أنه ذكر في صفحة ٦٦ قول الفلاسفة المتأخرين ان للشمس حركة مركزها . قال وهو معنى (تجري لمستقر لها) .

وهذا خطأ مردود من وجهين . أحدهما ان الذي يجري لا يستقر في موضعه بل يفارقه بالانتقال إلى غيره .

ومعنى قولهم حركة مركزها انها تتحرك على نفسها كما صرح به الالوسي عنهم في

عدة مواضع من كتابه . وتطبيق الآية على هذا القول من تحريف الكلم عن مواضعه .
ودؤبها في السير وانها تأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه حين غربت الشمس « تدري اين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) » رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والشيخان والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً « اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » .

وهذا الحديث الصحيح صريح في رد ما زعمه الفلاسفة المتأخرون من حركة الشمس على مركزها أو على نفسها .

وصريح ايضاً في رد ما حاوله الالوسي من تطبيق الآية على زعمهم الباطل .

ومنها أنه في صفحة ٦٧ ر ٦٨ ذكر قول أهل الهيئة الجديدة في سكون الشمس ودوران الأرض عليها ، ثم قال وقد تصفحت القرآن العظيم الشأن فوجدت عدة آيات نطقت بما يتعلق بالارض من جهة الاستدلال بها على وجود خالقها وعظمة باريها ولم يذكر فيها شيء مما يخالف ما عليه أهل الهيئة اليوم .

قلت هذا مردود وقد تقدم التنبيه عليه .

ومنها أنه في صفحة ٨٥ ذكر قول الله تعالى (وترى الشمس إذا طلعت) الآية . وقوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ثم قال فقد اثبت

للشمس حركة الطلوع والغروب ولعل ذلك باعتبار نظر الناظر كما في راكب السفينة فانه يرى ما على الساحل متحركاً وليس بمتحرك قلت هذا الكلام من تحريف الكلم عن مواضعه وفيه موافقة لاهل الهيئة الجديدة فيما زعموه من سكون الشمس واستقرارها وذلك مردود بالنصوص الكثيرة الدالة على جريان الشمس وسبحها في الفلك ودؤبها في السير وان الله يأتي بها من المشرق فتطلع من مطلعها وتدلك أي تزول إذا كان نصف النهار وتغرب من مغربها . والله تبارك وتعالى لا يخبر بخلاف الحقيقة . وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم ايراد الادلة على جريان الشمس في اول الكتاب فلتراجع ففيها ابطال تأويل المتأولين وتحريف المحرفين .

ومنها أنه في صفحة ٩٩ ذكر قول الله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) قال والطرائق جمع طريقة بمعنى مطرقة وهي السموات السبع . قال وسميت السموات بذلك لانها طرائق الكواكب في مسيرها . وهذا عين مذهب الفلاسفة المتأخرين القائلين بالجاذبية ودوران الكواكب على الشمس — إلى ان قال — ففي هذه الآية دليل وأي دليل لاهل فن الهيئة الجديدة .

قلت ليس الأمر كما زعمه الالوسي فليس في هذه الآية دليل لأهل الهيئة الجديدة بوجه من الوجوه . وانما فيها الرد عليهم في نفيهم وجود السموات السبع .

وفيها ايضاً الرد على الالوسي فيما زعمه في صفحة ١٩ ان هذا الفضاء ليس له مبدأ ولا انتهاء .

وفيها أيضاً الرد عليه فيما زعمه في صفحة ١٣٠ أنه يمكن ان تكون السموات أكثر من سبع .

وقد قال مجاهد في قوله (سبع طرائق) يعني السموات السبع . وقال البغوي أي سبع سموات سميت طرائق لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض . وكذا قال الخليل والفراء والزجاج وغيرهم . وذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن قتيبة نحو ذلك .

وهذه الآية كقوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت) الآية . وقوله تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) .

والقول بأن السموات انما سميت طرائق لانها طرائق الكواكب في مسيرها قول ضعيف لم يذكر عن أحد من الصحابة ولا التابعين وانما ذكره بعض المتأخرين بصيغة التمريض ولم يذكر قائله وليس في الآية على هذا القول دليل على ما يزعمونه من الجاذبية ودوران الكواكب على الشمس بوجه من الوجوه .

والاستدلال بها على هذا القول الباطل إلحاد في آيات الله تعالى .

وقد تقدم قول شيخ الاسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه .

وايضاً فان الله تعالى قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجوماً للشياطين كما قال تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجوماً للشياطين فكيف يقال ان السموات السبع طرائق للكواكب في مسيرها . لا شك ان هذا قول باطل مردود بالآيات التي ذكرنا والله اعلم .

ومنها أنه في صفحة ١٠١ و ١٠٢ ذكر قول الله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) ثم ذكر أن اهل الارصاد اليوم كشفوا في القمر جبالاووهاداًواوديةوهكذا الشمس وسائر السيارات وظنوا ان فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض وزعموا انفيهابحاراً وانهاراً . قال فلعل جبال البرد المذكورة في الآية من تلك الجبال التي في هاتيك الأجرام فيوصله الله الى الأرض بكيفية لا ندركها وهو على كل شيء قدير .

قلت هذا كله تخرص وهذيان . ومن اين لهم اكتشاف الشمس والقمر هما في السماء بنص القرآن . والكواكب من زينة السماء الدنيا بنص القرآن ، وبين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام بنص الاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن اين

لبني آدم ان يكتشفوا الاجرام العلوية من هذا البعد المفرط . والبرد انما ينزل من السحاب كما هو مشاهد . والسحاب إذا تراكم كان امثال الجبال الشاهقة . وقد قال بعض المفسرين ان الجبال ههنا كناية عن السحاب وهذا هو الصحيح لأن الله تعالى ذكر نزول المطر من السماء في آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها) وقوله تعالى (وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الأرض) وقوله تعالى (وانزلنا من السماء ماء مباركاً) وقوله تعالى(وانزلنا من السماء ماء طهوراً . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاماً واناسي كثيراً) وقوله تعالى (هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) .

إلى غير ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها نزول الماء من السماء والمراد بذلك السحاب كما هو منصوص عليه في مواضع من القرآن كقوله تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) وقوله تعالى (ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله) الآية . والودق هو المطر . وقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقوله تعالى (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) وقوله تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون . أءنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون . لو نشاء جعلناهاجاجاً فلولا تشكرون)

وقد قال ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماء ان على أمر قد قدر .

واذا علم هذا فالبرد مطر منعقد من شدة البرد الذي يكون في السحاب . ولفظ السماء يطلق ويراد به السموات السبع ويطلق ويراد به الدنيا فقط . ويطلق ويراد به ماعلا

على الارض من سحاب وسقوف كما في الآيات التي تقدم ذكرها وكما في قوله تعالى (فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سماء بيته وهو السقف.

وأيضاً فان الله تعالى ختم الآية بقوله (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) وهذا اوضح دليل على ان المراد بالجبال المذكورة في الآية ما تراكم من السحاب وصار امثال الجبال الشاهقة والضمير في برقه عائد إلى السماء الذي هو السحاب المتراكم فان سنا برقه يكاد يذهب بابصار الناظرين اليه من شدة ضوئه في الغالب . فأما الاجرام العلوية فليس يرى أهل الارض منها شيئاً من البرق لا ضعيفاً ولا قوياً يكاد سناه يذهب بالابصار . والله تبارك وتعالى انما خاطب الناس بما يعرفونه واخبرهم بما يشاهدونه بابصارهم في كثير من الاوقات .

وايضاً فلو كان البرد ينزل إلى الأرض من جبال في الاجرام العلوية لكان ينزل في الصحو وعدم السحاب كما ينزل في حال الغيم وتراكم السحاب وهذا لا يقوله عاقل .

ومنها أنه في صفحة ١٠٦ ذكر قول الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) ثم قال ربما استدل علماء الهيئة المتأخرون على ما أدعوه من حركة الأرض اليومية والسنوية فانهم يقولون ان الرائي يرى الجبال ساكنة وهي متحركة أشد الحركة . ثم ذكر عن المفسرين انهم يرون غير هذا الرأي وان ذلك انما يكون يوم القيامة وخراب العالم لا انها تمر مر السحاب اليوم .

قلت والحق ما ذهب اليه المفسرون ، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل اتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء أنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) .

وأما حمل الآية على ما ذهب اليه اهل الهيئة المتأخرون فهو من الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه .

والعجب من الالوسي كيف ذكر هذا القول الباطل ولم ينبه على بطلانه وهذا مما يعاب عليه .

ومنها أنه في صفحة ١٠٩ و ١١٠ ذكر عن أهل الهيئة المتأخرين ان قيام العالم العلوي والسفلي بالجاذبية .

وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة فلا ينبغي ان يثبت أو ينفى إلا بدليل يـــدل على ذلك .

وقد قال الله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا . ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده) وقال تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الأرض إلا باذنه) وقال تعالى (ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره) .

فالسماء والأرض قائمتان بأمر الله تعالى وهو الذي يمسكهما ان تزولا ويمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه . وحسب المسلم ان يعتقد ما أخبر الله به في كتابه ولا يتعداه.

ومنها ما في صفحة ١١٦ نقلا عن صاحب روح المعاني أنه قال في الشمس لا يبعد ان تكون لها نفس ناطقة كنفس الانسان . بل صرح بعض الصوفية بكونها ذات نفس ناطقة كاملة جداً . قال والحكماء المتقدمون اثبتوا النفس للفلك ، وصرح بعضهم باثباتها للكواكب ايضاً وقالوا كل ما في العالم العلوي من الكواكب والافلاك الكلية والجزئية والتداوير حي ناطق — ثم ذكر هذياناً كثيراً إلى ان قال في صفحة ١١٧ — فيمكن ان يقال للشمس نفساً مثل تلك الانفس القدسية إلى آخر ما قاله من الهذيان .

قلت أما وصفه للفلاسفة بالحكماء فهو خطأ ظاهر . و الصواب ان يقال انهم هم السفهاء الاغبياء الجاهلون لانهم قد اشركوا بالله وخالفوا ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، وزعموا ان النبوة مكتسبة وانها فيض يفيض على روح النبي إذا استعدت نفسه لذلك فمن راض نفسه حتى استعدت فاض ذلك عليه ، والنبي عندهم من جنس غيره من الاذكياء الزهاد لكنه قد يكون افضل . والملائكة عندهم هي ما يتخيل في نفسه من الخيالات النورانية ، وكلام الله هو ما يسمع في نفسه من الاصوات بمنزلة ما يراه النائم في منامه . ويجوزون على الانبياء الكذب في خطاب الجمهور للمصلحة والفيلسوف عند بعضهم اعظم من النبي . وعند بعضهم ان الرسالة انما هي للعامة دون الخاصة . والعبادات كلها عندهم مقصودها تهذيب الاخلاق . والشريعة عندهم سياسة مدنية . إلى غير ذلك من اقاويلهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ، وقد كان معلمهم الأول

ارسطو وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ملك اليونان . وكان هو والملك واصحابهما مشركين يعبدون الكواكب والاصنام ويعانون السحر ، ومن كانت هذه حالهم فهم السفهاء الجهلة الاغبياء على كل حال .

وأما ما ذكره عنهم من اثبات النفس للفلك واثباتها للكواكب والافلاك الكلية والجزئية والتداوير فكله باطل وضلال . وقد رد عليهم شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتبه ، ولا يتسع هذا الموضع لذكر شيء من الرد عليهم ، وانما المقصود ههنا التنبيه على بطلان ما نقله عنهم صاحب روح المعاني . والتنبيه ايضاً على بطلان ما زعمه من امكان ان يكون للشمس نفس ناطقة كنفس الانسان فان هذا لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا قاله احد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم باحسان . وانما هو مأخوذ عن الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الكواكب ويعظمونها غاية التعظيم ويتقربون اليها بأنواع التقربات .

ومنها أنه في صفحة ١١٨ و ١١٩ ذكر عن الفلاسفة المتأخرين ان الشمس تدور على مركز آخر قالوا وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ فانه يدل على دوران الشمس على مركز آخر ويقال أنه كوكب من كواكب الثريا أو يقال معنى جريانها لمستقر أنها تجري على مركزها ومحورها .

قلت وحمل الآية على ما ذكر ههنا من الالحاد في آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه فأما القول بدوران الشمس على الثريا فهو ظاهر البطلان لأن الثريا من جملة الكواكب التي قد جعلها الله تعالى زينة للسماء الدنيا وما كان كذلك فانه لا يكون مركزاً تدور عليه الافلاك وأما القول بأنها تدور على محورها فانه ينافي ما أخبر الله به من جريانها وسبحها في الفلك ودؤبها في ذلك . وما أخبر به من طلوعها وغروبها ودلوكها وانه يأتي بها من المشرق . وما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريانها وذهابها إلى مستقرها تحت العرش إذا غربت ورجوعها إلى مطلعها وطلوعها وارتفاعها واستوائها وزوالها ودنوها للغروب وغروبها وحبسها ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتى فتحها الله عليه .

وقد ذكرت الآيات والاحاديث الدالة على جريان الشمس في أول الكتاب فلتراجع .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه حين غربت الشمس « تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) » رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والشيخان والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً « أتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها »

وهذا الحديث الصحيح في بيان المراد من قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) .

وفيه الرد من على تأول الآية على غير تأويلها .

وأما قول الالوسي أو يقال معنى جريانها لمستقر انها تجري على مركزها ومحورها .

فهو خطأ مردود من وجهين . احدهما ان الذي يجري لا يثبت في موضعه بل يفارقه بالانتقال إلى غيره كما قال الله تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) .

ففرق سبحانه وتعالى بين جري السفن في الماء وبين ركودها على ظهر البحر وهو وقوفها وسكونها عليه .

وقال تعالى عن سفينة نوح عليه الصلاة والسلام (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ، وهي تجري بهم في موج كالجبال) الآيات إلى قوله تعالى (واستوت على الجودي) .

ففرق تبارك وتعالى بين جري السفينة في الماء وبين رسوها واستوائها على جبل الجودي

وقال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) الآية . والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود وابن ماجه والدارمي عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني من مزدلفة — مرت به ظعن يجرين . الحديث .

الوجه الثاني ان الذي يدور على محوره مع ثباته في موضعه لا يوصف بالجريان وإنما يوصف بالدوران . والله تبارك وتعالى قد وصف الشمس بالجريان ولم يصفها بالدوران وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قد وصفها بالجريان ولم يصفها بالدوران ، فتبين بطلان ما حاوله المقلدون لأهل الهيئة الجديدة من حمل الآية الكريمة على زعمهم الباطل .

ومنها أنه في صفحة ١١٩ ذكر قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) الآيات إلى قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون) ثم قال في صفحة ١٢٠ وهذه الآية من أعظم ما يتمسك به المتشرعون من علماء الهيئة الجديدة .

قلت ليس كذلك بل في هذه الآيات رد عليهم لأن فيها النص على جريان الشمس وهم قد انكروه . وليس فيها ما يدل على جريان الأرض كما زعموه .

ومنها ما ذكره في صفحة ١٢٢ عن الفلاسفة ان اصغر الثوابت عندهم اعظم من الأرض .

وهذا من التخرص والقول بغير علم .

وقد ذكرت في آخر الادلة القرآنية على ثبات الأرض ما يدل على انتثار الكواكب في البحر يوم القيامة وتكوير الشمس والقمر فيه فليراجع ففيه دليل على ان الأرض اعظم من الكواكب كلها والله اعلم .

ومنها أنه قال في صفحة ١٢٩ وقد غلب على ظن أكثر أهل الحكمة الجديدة ان القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار ويزعمون أنهم يحسون بها بواسطة ارصادهم وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الامر فيه .

قلت هذا تخرص ورجم بالغيب وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ومن اين لهم الوصول إلى القمر وتحقيق الأمر فيه وهو في السماء بنص القرآن ، وبين

السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة فقدرتهم عاجزة عن اكتشاف القمر وتحقيق الأمر فيه .

وقد أخطأ الالوسي في اطلاقه وصف الحكمة على الهيئة الجديدة ههنا وفي صفحة ١٣٠ والصواب انها الجهل الكثيف وعين المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف العلماء في تفسير الحكمة . فقال السدي هي النبوة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله . وقال الضحاك القرآن والفهم فيه . وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه ، وعنه ايضاً أنه قال هي الاصابة في القول والفعل ، وقال أبو العالية الحكمة خشية الله . وعنه ايضاً الحكمة الكتاب والفهم ، وقال ابراهيم النخعي الحكمة الفهم . وقال أبو مالك الحكمة السنة ، وقال مالك الحكمة الفقه في دين الله .

قال ابن كثير والصحيح ان الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي اعم منها واعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الانبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الاحاديث « من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين كتفيه غير انه لا يوحى اليه » رواه وكيع بن الجراح في تفسيره .

وقال النووي في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها ان الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد ما ذكر كلام النووي . وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله وعلى النبوة كذلك . وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال ايضاً واصح ما قيل في الحكمة انها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله فعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد . وعلى الاول فقد يتلازمان لأن الايمان يدل على الحكمة انتهى .

ومما ذكرنا من أقوال العلماء في الحكمة يتضح لطالب العلم انه لاحظ لأهل الهيئة الجديدة في الحكمة وانهم بعيدون منها غاية البعد فهم منها كما قيل .

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتان بين مشرق ومغرب

وقد كان مشركو قريش يكنون ابا جهل بابي الحكم فغير النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وكناه بابي جهل .

وهكذا يقال في اعداء الله تعالى من أهل الهيئة الجديدة واشباههم من الفلاسفة المشركين أنهم اهل الجهل لا أهل الحكمة لأن صفة الجهل هي المطابقة لحالهم على الحقيقة فوصفهم بذلك هو الذي يليق بهم كابي جهل .

وقد قال الله تعالى (ويؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) .

والحكمة هي ما انزله الله على انبيائه الكرام من العلم النافع . قال الله تعالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) .

وقال تعالى بعد ذكر الاوامر والنواهي في أول سورة الاسراء . (ذلك مما اوحي اليك ربك من الحكمة) قال البغوي وكل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمة .

وقال تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) وآل ابراهيم هم الانبياء بعده .

وقال تعالى في ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) .

واذا كانت الحكمة منزلة على الانبياء فلورثتهم وهم العلماء العاملون حظ منها كل بحسبه . قال الله تعالى (ولقد اتينا لقمان الحكمة) . وفي الحديث الصحيح عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والشيخان والنسائي وابن ماجه .

فأما الفلاسفة المشركون فهم اعداء الانبياء وليس لهم من الحكمة الموروثة عن الانبياء حظ ولا نصيب البتة وبسبب كفرهم وعنادهم فقد اوتوا شراً كثيراً وجهلاً عظيماً ، ومع هذا يزعمون ويزعم المقلدون لهم أنهم من أهل الحكمة ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون .

ومنها أنه قرر في صفحة ١٢٩ ان كل ارض من الارضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سمائين وهناك ما يستضيىء به اهلها سابحاً في فلك بحر قدرة الله عز وجل . ونسبة كل ارض إلى سمائها نسبة الحلقة إلى الفلاة وكذا نسبة السماء إلى السماء التي فوقها .

قلت هذا كله تخبيط وهذيان لا دليل عليه وسيأتي بيان بطلانه ان شاء الله تعالى .

ومن هذا القبيل ما ذكره في صفحة ٣٠ عن ابن عربي أنه قال ان الله تعالى خلق الارض سبع طبقات وجعل كل ارض اصغر من الاخرى ليكون على كل ارض قبة سماء وان السموات على الارضين كالقباب على كل ارض سماء اطرافها عليها نصف كرة وكرة الأرض لها كالبساط فهي مدحية دحاها من اجل السماء ان تكون عليها انتهى تخبيطه وهذيانه .

ومنها قوله في صفحة ١٣٠ ويمكن ان تكون الارضون وكذا السموات اكثر من سبع والاقتصار على العدد المذكور الذي هو عدد تام لا يستدعي نفي الزائد .

قلت هذا باطل مردود لمخالفته لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة الدالة على ان السموات سبع فقط وان الارضين سبع فقط . ومخالفته ايضاً لاجماع اهل السنة والحديث فقد ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » اجماع أهل السنة على ان السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أنها تسع .

وذكر شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيميه رحمه الله تعالى عن أبي بكر الانباري أنه ذكر اجماع اهل الحديث والسنة على ان الارضين سبع بعضهن فوق بعض .

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكافي في كتابه « المسائل الكافية . في بيان وجوب صدق خبر رب البرية » .

(المسألة التاسعة عشرة) الارض عقيدة المسلمين فيها انها سبع ارضين واحدة تحت واحدة كما ان السماء سبع واحدة فوق واحدة .

فمن قال واعتقد انها واحدة لا تعدد فيها يكفر لتكذيبه الله تعالى في خبره (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) . ولتكذيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبره أيضاً ثم ذكر ما رواه الامام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » .

وما رواه الأمام احمد والبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اخذ من الارض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع ارضين »

ومنها أنه في صفحة ١٣٠ اشار إلى ما قرره في صفحة ١٢٩ من ان كل ارض من الارضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سمائين إلى آخر كلامه . ثم قال وليس ذلك مما يصادم ضروياً من الدين أو يخالف قطعياً من ادلة المسلمين .

قلت هذا قول باطل مردود بالنص والاجماع .

أما النص فقول النبي صلى الله عليه وسلم « من اخذ من الارض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إل سبع ارضين » رواه الامام أحمد والبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . والاحاديث بنحوه كثيرة وليس هذا موضع ذكرها .

والخسف انما يكون من تحت ولا يكون من جهة العلو فان ذلك يسمى عروجاً وصعوداً ورقياً كما قال تعالى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون) وقال تعالى (كأنما يصعد في السماء) وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش انهم قالوا (او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) وقال تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية)

وفي قوله صلى الله عليه وسلم « خسف به إلى سبع ارضين » دليل على ان الارضين بعضهن فوق بعض واعلاهن ما نحن عليه .

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بعد ان ساق عدة احاديث في اثبات سبع ارضين . قال فهذه الاحاديث كالمتواترة في اثبات سبع ارضين . والمراد بذلك ان كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند اهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الاثقال اليه ينتهي ما يهبط من كل جانب اذا لم يعاوقه مانع انتهى .

واما الاجماع فقال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ، قد خلق الله سبع ارضين بعضهن فوق بعض كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع ارضين يوم القيامة » .

وقد ذكر ابو بكر الأنباري الاجماع على ذلك واراد به أهل الحديث والسنة انتهى .

ولو كان الأمر على ما ذهب اليه الالوسي من كون الارضين بين السموات وكل ارض منها بين سمائين لكان المخسوف به إلى سبع ارضين يخسف به على هذه الأرض التي نحن عليها ثم يرفع فوق السماء الدنيا فيخسف به في الأرض الثانية ثم يرفع فوق السماء الثانية فيخسف به في الأرض الثالثة وهكذا إلى الأرض السابعة التي هي على قول الالوسي بين السماء السادسة والسماء السابعة . وهذا لا يقوله من له ادنى مسكة من عقل . ومجرد تصوره يكفي في معرفة فساده ومصادمته لما هو معلوم بالضرورة من الدين ومخالفته لما هو قطعي من ادلة المسلمين وهو ما ذكرناه آنفاً من النص والاجماع .

وستأتي بقية الامثلة على نقصان كتاب الالوسي وقلة بركته مع الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة ان شاء الله تعالى .

ومما ذكرته من هذه الأمثلة التي تقدم ذكرها والامثلة التي ستأتي يتضح ان كتاب الالوسي لا خير فيه وانه لا يستحق المدح .

وايضاً فقد اشتمل على تعظيم ابن عربي الطائي أمام القائلين بوحدة الوجود وتلقيبه بمحيي الدين والترحم عليه والتقل من هذيانه وما كان كذلك فليس فيه بركة ولا يستحق المدح وانما يستحق الذم والتحذير منه .

وقد ثبت عند المحققين ان ابن عربي من أكفر أهل الأرض وممن سعى في اماتة دين الاسلام وابداله بنحلته الخبيثة التي هي شر مما كان عليه اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل .

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية فيه وفي اشباهه انهم أكفر من اليهود والنصارى .

وكلام العلماء في تكفير ابن عربي كثير جداً .

وقد صنف العلامة برهان الدين البقاعي كتاباً في تكفيره وتكفير اشباهه من الاتحادية سماه (تنبيه الغبي . إلى تكفير ابن عربي) قال في أوله . وينبغي ان يعلم اولا ان كلامه دائر على الوحدة المطلقة وهي أنه لا شيء سوى هذا العالم . وان الله امر كلي لا وجود له

إلا في ضمن جزئياته ، ثم انه يسعى في ابطال الدين من اصله بما يحل به عقائد اهلـه بأن كل أحد على صراط مستقيم ، وان الوعيد لا يقع منه شيء . وعلى تقدير وقوعه فالعذاب المتوعد به انما هو نعيم ونحو ذلك .

ثم ذكر البقاعي شيئاً كثيراً من شطحات ابن عربي واقواله الباطلة وذكر اقوال العلماء في تكفيره وتكفير اشباهه فاجاد وافاد وصنف ايضاً كتاباً آخر في تكفيره وتكفير ابن الفارض ومن كان على طريقتهما سماه (تحذير العباد . من اهل العناد) وقد طبع الكتابان معاً في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة في سنة ١٣٧٢ هـ وسماهما الناشرمصرع التصوف فليراجعهما من لا يعرف حال ابن عربي ليرى كلام العلماء فيه .

واذا كان الأمر في ابن عربي ما ذكرنا فليس بسلفي من يعظمه ويترحم عليه ويعتمد على هذيانه ، ولا خير في كتاب يشتمل على تعظيمه وتعظيم اشباهه والله المستعان .

الأمر الثاني من الاخطاء زعم الالوسي ان الهيئة الجديدة قويمة البرهان وان القرآن الكريم يعضدها .

والجواب ان يقال ليس الأمر كذلك بل الهيئة الجديدة عديمة البرهان . والقرآن العظيم يعارضها ويشهد ببطلانها .

وكذلك السنة واجماع المسلمين .

والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما تيسر وبالله المستعان .

المثال الاول قولهم ان الشمس ثابتة وانها مركز العالم وان الأرض وسائر السيارات والثوابت تتحرك عليها .

وهذا قول باطل ترده نصوص القرآن والسنة . وقد تقدم ذكرها في اول الكتاب فلتراجع .

المثال الثاني قولهم ان الأرض تدور على الشمس .

وهذا قول باطل ترده الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة . ويرده ايضاً اجماع المسلمين على وقوف الارض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرضها من زلزلة ونحوها وقد تقدم ذلك فليراجع .

وقد اضطرب قول الالوسي في هذه المسألة والتي قبلها . فمرة يوافق أهل الهيئة الجديدة

على قولهم ويحتج لهم . ومرة يذكر قولهم ويسكت ، ومرة يخالفهم ويقول انه يجب الرجوع في هذا إلى ما دل عليه الكتاب والسنة ، وهذا القول هو الحق لو كان الالوسي يثبت عليه .

المثال الثالث انكارهم وجود السموات السبع .

وذلك هو الكفر الصريح والضلال البعيد لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة واجماع المسلمين .

وكثير من جهال المسلمين يوافقونهم على هذا المذهب الباطل وذلك ردة وخروج من دين الاسلام .

قال الالوسي في صفحة ١٩ من كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن . مما يعضد الهيئة الجديدة) . وأما ما ذهب اليه متأخرو الفلاسفة فلا سماء عندهم بل الاجرام العلوية قائمة بالجاذبية فان الشمس وسائر الكواكب السيارات عليها بل وجميع الثوابت ليست مركوزة في جسم من الاجسام – إلى ان قال – غير ان المتأخرين لم يثبتوا من السموات سبعاً ولا اكثر من ذلك ولا انقص . والمتشرعون منهم قالوا المراد من السموات السبع اصناف اجرام الكواكب فانهم جعلوها على سبعة اصناف في المقدار . وذلك هو الضلال البعيد . فلا يلزم ان يكون كل ما لم تصل اليه ايدي افكارهم هو في حيز العدم (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) .

فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم اخبروا بوجود السموات في هذا الفضاء الذي ليس له مبدأ ولاانتهاء .

وهذا خاتمهم صلوات الله عليه قد ذكر ما ذكر مما رأى في معراجه في السموات واستفتاحه لها بواسطة جبريل . كل ذلك يبطل تأويل من اول .

قلت قد أجاد الالوسي في رده على اهل الهيئة الجديدة في زعمهم عدم السموات السبع ولكنه اخطأ في قوله في الفضاء أنه ليس له مبدأ ولا انتهاء ، وقد تقدم رد ذلك مع الامثلة التي تقدم ذكرها .

وذكر الالوسي ايضاً في صفحة ٣٤ عن أهل الهيئة الجديدة ان سعة الجو غير متناهية عندهم ، ومعنى هذا انكار وجود السموات السبع .

وذكر ايضاً في صفحة ٣٨ عن أهل الهيئة الجديدة انهم لا يعترفون بوجود السموات السبع على الوجه الذي نطقت به النصوص وذكر ايضاً في صفحة ٨٦ أن اهل الفن اليوم لا يعترفون باجرام علوية غير الكواكب .

قلت وهذا من مزيد كفرهم وعنادهم . وقد اعترف فرعون بوجود السموات مع شدة كفره بالله ، واعترف بذلك قوم شعيب ومشركو قريش فهم إذاً أخف كفراً من أهل الهيئة الجديدة .

قال الله تعالى مخبراً عن فرعون (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع إلى إله موسى واني لاظنه كاذباً) الآية . وقال تعالى عن قوم شعيب (فاسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين) والكسف القطع وقال تعالى عن مشركي قريش (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) .

والقول بنفي وجود السموات السبع معلوم البطلان بالضرورة من الدين .

والادله على اثبات السموات السبع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يشق استقصاؤها لكثرتها . وحسبنا ان نذكر ههنا طرفاً منها .

فمن ذلك قول الله تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) .

وقوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) .

وقوله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) .

وقوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) .

وقوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) الآية وقوله تعالى (قل

من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون الله قل افلا تتقون) .

وقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن) الآية

وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) .

ففي هذه الآيات كلها النص على وجود السموات والنص على انهن سبع . ففي هذا رد على أهل الهيئة الجديدة الذين انكروا وجود السموات.

وفيها ايضاً رد على الالوسي حيث زعم انه يمكن ان تكون السموات اكثر من سبع .

وفي الآية من سورة الطلاق رد عليه ايضاً في زعمه انه يمكن ان تكون الارضن اكثر من سبع . وقد تقدم كلامه في ذلك قريباً .

وفي الآية من سورة عمّ النص على ان السموات مبنية وانها شداد اي في غاية الاحكام والشدة والكثافة .

وقد جاء في الاخبار عن بنائها عدة آيات من القرآن كقوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) وقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء) وقوله تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقوله تعالى (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) وقوله تعالى (والسماء وما بناها) وقوله تعالى (أأنتم اشد خلقاً ام السماء بناها ، رفع سمكها فسواها) .

وقد أخبر تبارك وتعالى انه جعل السماء سقفاً لما تحتها من المخلوقات فقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) قال تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء) وقال تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) وقال تعالى(والسقف المرفوع)

واخبر تبارك وتعالى أيضاً عن ارتفاعها بقوله (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلي) وقوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) وقوله تعالى (أأنتم اشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها) وقوله تعالى (والسقف المرفوع) .

وأخبر تعالى ان للسماء أبواباً فقال تعالى (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الآية ، وقال تعالى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) .

واخبر تعالى ان في السموات سكاناً فقال تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) وقال تعالى (ألم تر ان الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وقال تعالى (سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض)الآية . وقال تعالى (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) وقال تعالى (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) وقال تعالى (ان كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد احصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرد) وقال تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) وقال تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) وقال تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلامن شاء الله وكل اتوه داخرين) وقال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) وقال تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) .

واخبر تعالى عن السموات انهن يكدن يتفطرن من سماع دعوى الولد لله تبارك وتعالى اعظاماً للرب واجلالا له فقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً اداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . ان دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً) وقال تعالى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم)

واخبر تعالى انها تنشق يوم القيامة وانه يطويها ويجعلها في يمينه فقال تعالى (إذا السماء انشقت . واذنت لربها وحقت) وقال تعالى (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) وقال تعالى(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقال تعالى (ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقال تعالى (إذا السماء انفطرت) أي انشقت . وقال تعالى (السماء منفطر به) وقال تعالى (واذا السماء فرجت) أي شقت . وقال تعالى (واذا السماء كشطت) أي نزعت فطويت . وقال الزجاج قلعت كما يقلع السقف ، قال

لبغوي ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام . وقال تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

واخبر تعالى ان السماء والارض قائمتان بأمره ، وانه يمسك السماء ان تقع على الأرض إلا باذنه . وانه يمسك السموات والأرض ان تزولا .

والآيات الدالة على وجود السموات كثير جداً وفيما ذكرته كفاية لطالب الحق .

أما الادلة على ذلك من السنة فكثيرة ايضاً ونذكر ههنا طرفاً من ذلك

فمنها ما رواه الامام احمد ومسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتيت بالبراق — فذكر الحديث وفيه — قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله عز وجل (ورفعناه مكاناً علياً) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه

ال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور إذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه » الحديث

وقد رواه البخاري والنسائي وابن أبي حاتم بنحوه

وفي رواية ابن أبي حاتم « قال ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا الباب استفتح فقالوا من انت قال أنا جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ث اليه قال نعم قال ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك قال فلما استوى على ظهرها ا فيها آدم » فذكر الحديث بنحو ما تقدم .

ومنها ما رواه الامام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن انس بن مالك رضي الله نه ان مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن لة اسري به فذكر الحديث بنحو ما تقدم .

ومنها ما رواه الشيخان عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان ابو ذر رضي الله ه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر الحديث بنحو ما تقدم .

ومنها ما رواه عبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند عن انس بن مالك رضي الله ه قال كان أبي بن كعب رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كر الحديث بنحو ما تقدم .

ومنها ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيقهي في دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدري ي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له اصحابه يا رسول الله اخبرنا عن ة اسري بك قال فأخبرهم فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه زيادات كثيرة .

ومنها ما رواه ابن جرير والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله ه وسلم بنحو ما تقدم .

ومنها ما رواه الامام أحمد والبغوي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال ا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « اتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والارض قال قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض والله تبارك وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شيء » .

وقد رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في كتاب التوحيد والحاكم في مستدركه . وفي روايتهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة بحر بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

ومنها ما رواه الإمام احمد والترمذي وابن أبي حاتم والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه إذ اتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك سمائين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ما بين كل سمائين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السمائين » .

ومنها ما رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه

قال « ما بين كل سماء إلى الاخرى مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم اعمالكم » اسناده صحيح على شرط مسلم .

ورواه من وجه آخر ولفظه « ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وبصر كل سماء خمسمائة — يعني غلظها — وذكر بقيته بنحو ما تقدم .

وهذا الحديث له حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وانما يقال عن توقيف

ومنها ما رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً أذكرك وادعوك به قال قل يا موسى لا اله إلا الله قال كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله . قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

ومنها ما رواه الامام احمد والبخاري في الادب المفرد والطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال لابنه اني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وانهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله الا الله » وذكر تمام الحديث .

ومنها ما رواه ابن مردويه عن أبي ذر رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » .

ومنها ما رواه الامام احمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء » الحديث قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد واسناده صحيح على شرط الشيخين .

ومنها ما رواه الامام أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوات عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم » .

ورواه ابن ماجه باسناد صحيح وعنده في آخره « سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم » .

ومنها ما رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن صهيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها « اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وقد رواه الطبراني بنحوه قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبي مروان وابيه وكلاهما ثقة .

وروى الطبراني ايضاً في الاوسط من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه نحوه . قال الهيثمي واسناده حسن .

وروى الطبراني ايضاً من حديث أبي معتب بن عمرو رضي الله عنه نحوه . قال الهيثمي وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .

ومنها ما رواه الترمذي عن بريده رضي الله عنه قال شكى خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما أنام الليل من الارق فقال النبي الله صلى الله عليه وسلم « اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او ان يبغي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك لا اله الا انت » قال الترمذي ليس اسناده بالقوي

ومنها ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا تخوف احدكم سلطانا فليقل اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جارا من شر فلان ابن فلان» الحديث . قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير جنادة بن سلم وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره .

والاحاديث الدالة على وجود السموات كثيرة جدا وفيما ذكرته كفاية ان شاء الله تعالى . ولو لم يكن منها الا حديث واحد من احاديث الاسراء لكان كافيا في الرد على اهل الهيئة الجديدة الذين ينكرون وجود السموات

وقد اشتملت هذه الاحاديث على اثبات السموات . وان لهن ابوابا . وان للابواب حجابا وخزنة . وانه لا يدخل احد من ابوبها إلا من بعد ان يؤذن له ويفتح له الباب وان فيهن سكانا . وفيها النص على ان السموات سبع . ودل حديث العباس وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما على ان كثف كل سماء مسيرة خمسمائةسنة. وفيهما ايضا وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان بعدما بين السماء والاض مسيرة خمسمائة سنة . وان كل سمائين مسيرة خمسمائة سنة

وفي الاحاديث عن ابي سعيد وعبد الله بن عمرو وابي ذر و صهيب وابي لبابة وابي معتب بن عمرو رضي الله عنهم النص على ان الارضين سبع كالسموات ففي ذلك رد على الالوسى في زعمه انه يمكن ان تكون السموات اكثر من سبع وان تكون الارضون اكثر من سبع

واذا علم ما ذكرنا من الآيات والاحاديث الدالة على اثبات السموات السبع فليعلم ايضا ان الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ذكر في آخر كتابه « الفرق بين الفرق » عن اهل السنة انهم اجمعوا على ان السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين انها تسع

وفي هذا رد على من انكر وجود السموات . ورد على الالوسى ايضا في قوله انه يمكن ان تكون السموات اكثر من سبع

وقد قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه « المسائل الكافية . في بيان وجوب صدق خبر رب البرية »

(المسألة الخامسة عشرة) السماء عقيدة المسلمين فيها انها بناء عظيم وسقف لما تحتها بلا عمد ترى . ووصفها الله تعالى في كتابه العزيز . بما ينطق بانها بناء بالغ الغاية في الاتقان مثل قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)

فمن قال واعتقد انها جو وفضاء لا بناء واستمر مصمما على ذلك يكفر لتكذيبه الله تعالى في خبره (والسماء بناء) وفي خبره (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) وفي خبره (والسماء وما بناها) وفي قوله (أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها . رفع سمكها) وغير ذلك من الآيات الدالة على انها بناء محكم انتهى

المثال الرابع زعمهم ان سعة الجو غير متناهية ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤

وهذا قول باطل . والحق ان هذا الجو الذي نحن فيه ينتهي الى السماء الدنيا ومسافته من كل جانب من جوانب الارض خمسمائة سنة . ثم بين كل سمائين فضاء مسيرته من كل جانب خمسمائة سنة . وقد تقدم التنبيه على ذلك مع الامثلة على نقصان كتاب الالوسي وقلة بركته وخطأ الصواف في مدحه

المثال الخامس زعمهم ان الشمس اعظم من الارض بالف الف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرون الف مرة ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٣

والجواب ان يقال قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى عن اهل الهيئة القديمة انهم اتفقوا على ان الشمس بقدر الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة

وكل من الطرفين لا دليل لهم على ما قالوه سوى الظنون الكاذبة والرجم بالغيب واثبات مثل هذه الامور يحتاج الى دليل قاطع من كتاب الله تعالى او من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل

ولو قال قائل ان الارض اعظم من الشمس بكثير لكان قوله اقرب الى الصواب من قول اهل الهيئة القديمة ومن قول أهل الهيئة الجديدة لأن الله تعالى قال (إذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت) وقال تعالى (إذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت) قال البغوي وغيره في قوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) اي تناثرت من السماء

وتساقطت على الأرض كما قال تعالى (واذا الكواكب انتثرت) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال « يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً » رواه ابن أبي حاتم باسناد ضعيف ، وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي .

قلت ويشهد لهذا الاثر ما رواه البخاري في صحيحه عن عبدالله الداناج قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة »

ورواه البزار من حديث عبد الله الداناج قال سمعت ابا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما فقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول وما ذنبهما . اسناده صحيح على شرط مسلم .

وروى ابو يعلي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وثقوا .

قلت وما تقدم عن ابي هرير ة رضي الله عنه يشهد له ويقويه وروى ابن ابي حاتم عن الشعبي انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم .

وروى الامام احمد وابن جرير والحاكم عن يعلي بن امية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البحر هو جهنم » قال الحاكم صحيح الاسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه

وفيما ذكرنا دليل على ان الارض اعظم من الشمس والقمر والكواكب لأن الجميع ينتثر يوم القيامة في البحر فيسعها كلها ، ولو كانت الشمس بقدر الأرض أو اعظم منها لملأت الأرض كلها وزادت عليها بكثير .

وعلى قول أهل الهيئة الجديدة تكون الشمس اعظم مما بين السماء والارض ، وهذ
لا يشبه كلام العقلاء وانما هو هذيان يشبه كلام المجانين .

ونقول ايضاً من الذي ذهب من أهل الهيئة الجديدة أو غيرهم إلى الشمس وقاسها وعل
مقدارها وما بينها وبين الأرض من التفاوت العظيم في الكبر ، وإذا كان هذا ممتنعاً في حق البشر فمن اي
لهم العلم بقدرها على الوجه الذي حددوه تحديد من ذهب اليها وقاسها او من كان مع
نص عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم يطابق ما قاله .

وايضاً فهذه الارض التي خلقوا منها وعاشوا عليها لم يطلعوا عليها كلها مع كثر
طوافهم فيها وكثرة ما لديهم من وسائل الاكتشاف .

وقد اخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن ياجوج وماجوج . وعن سد ذي القرنين
الذي بناه دونهم واخبر أنهم يخرجون في آخر الزمان . وكذلك اخبر رسول الله صلى الل
عليه وسلم عنهم في عدة احاديث واخبر انهم يخرجون في آخر الزمان فيحصرو
المسلمين فيدعو عليهم نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام واصحابه فيهلكهم الله تعال
وهم من بني آدم بلا خلاف . ومع هذا لم يطلع عليهم ولا على سد ذي القرنين أحد من
هولاء الكذابين الذين يزعمون مقدار الشمس والقمر وغيرهما من الاجرام العلوي
ويعلمون ما فيها من المواد .

وكذلك قد جاء في حديث تميم الداري رضي الله عنه ان الدجال موثق بالحديد في
بعض جزائر البحر . وقد حدث تميم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسل
بحديثه فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر الناس بذلك . ومع هذا لم يطلع عل
الدجال أحد بعد أهل السفينة الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

فيقال للذين يزعمون انهم اكتشفوا على الاجرام العلوية وعلموا موادها ومقاديره
انكم قد عجزتم عن اكتشاف جميع الارض التي خلقتم منها وعشتم فيها فانتم عن اكتشاف
الاجرام العلوية اعجز واعجز ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

أطلاب النجوم احلتمونا على خبر ادق من الهباء
علوم الارض لم تصلوا اليها فكيف وصلتم خبر السماء

والكلام في مقادير الاجرام العلوية وابعادها وموادها وما جعل الله فيها يحتاج إل

نص قاطع عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك من امور الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي ، ولا نص في ذلك البتة .

وما لم يخبر الله به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب فالواجب الاعراض عنه وعدم الخوض فيه لقول الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) .

فأما الاعتماد على الارصاد في معرفة مقادير الاجرام العلوية وابعادها وموادها وما جعل الله فيها كما هو شأن أهل الهيئة الجديدة واتباعهم فذلك من التخرص واتباع الظن والرجم بالغيب وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون) وقال تعالى(ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون ، ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهم اعلم بالمهتدين) وايضا فان الله تعالى قد عظم شأن الأرض في كتابه ونوه بذكرها اكثر مما عظم من شأن الشمس والقمر والكواكب وقرن خلقها مع خلق السموات في عدة آيات من القرآن . واخبر انه خلقها وما فيها في اربعة ايام وانه خلق السموات وما فيهن في يومين وذلك يدل على عظم الأرض وانها أكبر من الشمس والقمر وسائر الكواكب .

وقد قال الله تعالى (لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) . وقال تعالى(ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) الآية . وقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) الآية وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية وقال (وسع كرسيه السموات والأرض) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على عظم الأرض وسعتها .

وقد جاء في تعظيم خلق الارض احاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . منها حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي تقدم ذكره وفيه ان الله تعالى قال « لو ان

السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » ونحوه ما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في ذكر وصية نوح عليه الصلاة والسلام لابنه . وقد تقدم ايضاً .

وكذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة » الحديث وقد تقدم ذكره .

وروى الامام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلائق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره) الآية .

وروى الامام احمد والترمذي ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس قال كيف تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه واشار بالسبابة والأرض على ذه والماء على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير باصابعه فانزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح .

والاحاديث الدالة على عظم الأرض كثيرة جداً وفيما ذكرته ههنا كفاية ان شاء الله تعالى . .

المثال السادس زعمهم ان القمر دون عظم الأرض بتسع واربعين مرة . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ .

وهذا من نمط ما قبله من التخرص والرجم بالغيب .

المثال السابع زعمهم ان بعد الشمس عن الارض اربعة وثلاثون الف الف فرسخ فرنسي وهو المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة الف فرسخ ، ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ .

وهذا من نمط ما قبله من الهذيان فان هذه المسافة التي ذكروها تطابق اثني عشر الف سنة أو قريباً من ذلك ، وهذا يقتضي ان تكون الشمس فوق السماء السابعة بمقدار خمسة الاف وان تكون فوق الكرسي ايضاً ، وهذا باطل قطعاً فان الشمس في السماء بنص القرآن وليست فوق السموات السبع .

والصواب في هذا ان يقال الله اعلم بمقدار بعد الشمس عن الأرض . ولم يخبرنا الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم عن بعدها بشيء نعتمد عليه ، و لو كان في ذلك فائدة تعود على المكللفين في أمر دينهم أو دنياهم لبينه الله تعالى لهم ولم يهمله قال الله تعالى (وما كان ربك نسياً) وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه الصلاة والسلام (قال علمهما عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) .

فالواجب على المسلم ان يتمسك بما جاء عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسكت عما سكت الله ورسوله عنه ولا يتكلف ما لا علم له به فان ذلك مما نهى الله عنه قال تعالى (قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) .

المثال الثامن زعمهم ان القمر من سيارات السيارات لانه يدور حول الارض ودورانها حول الشمس . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ .

والجواب ان يقال أما قولهم بدوران القمر على الارض فهو صحيح يجري في الفلك ويدور على الارض وكذلك الشمس وسائر الكواكب فكلها تجري وتدور على الأرض والأرض هي المركز للجميع كما تقدم في أول الكتاب .

وأما قولهم ان القمر من سيارات السيارات وان الأرض تدور حول الشمس فهو من نمط ما قبله من التخرص والقول بغير علم وقد تقدم رده في أول الكتاب .

وقد تناقض قول اهل الهيئة الجديدة في مدار القمر وذلك أنهم زعموا ان الشمس هي المركز الثابت وان الأرض وجميع السيارات تدور عليها واقربها إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم القمر ثم المريخ .

وعلى هذا القول ينتفي الكسوف عن الشمس لأن القمر انما يدور عليها من وراء مدار

الأرض فلا يتوسط بين الارض وبين الشمس . وكسوف الشمس انما يكون بسبب حيلولة القمر بينها وبين الأرض .

ولما علم اهل الهيئة الجديدة بما في هذا القول من الفساد قالوا ان القمر من سيارات السيارات وانه يدور على الأرض والأرض تدور هي وقمرها على الشمس . وهذا باطل قطعاً لانها لو كانت تدور على الشمس مع ما زعموه من البعد المفرط بينها وبين الأرض لكان مدار الأرض وقمرها من فوق الكرسي بمسافة بعيدة جداً وكانا يخترقان السموات السبع في حال دورانهما وهذا من ابطل الباطل .

وايضاً فالدوران انما يكون على مركز ثابت . وما ليس بثابت كالسيارات فليس بمركز يدار عليه .

المثال التاسع زعمهم ان البعد الابعد للقمر عنها – أي عن الارض – أحد وتسعون الفاً واربعمائة وخمسون فرسخاً . والبعد الاقرب له ثمانون الفاً ومائة وخمسة فراسخ . فيكون البعد الاوسط نحو ستة وثمانين الف فرسخ . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ .

وهذا من نمط ما قبله من الهذيان والتخرص . وذلك ان مسافة البعد الابعد تطابق احدى وثلاثين سنة وتسعة اشهر تقريباً . ومسافة البعد الاوسط تطابق تسعاً وعشرين سنة وعشرة اشهر تقريباً . ومسافة البعد الاقرب تطابق سبعاً وعشرين سنة وعشرة اشهر تقريبـــاً .

والقرآن العظيم يرد هذا القول ويبطله قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) .

ففي هذه الآيات النص على ان القمر في السماء .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام » وقد تقدمت الاحاديث بذلك في اول الكتاب . وفيها مع الآيات التي ذكرنا رد لما تخرصه اهل الهيئة الجديدة في بعد القمر عن الأرض .

المثال العاشر تسميتهم الأرض كوكباً . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣ .
وهذا خطأ وضلال . وانما اطلقوا عليها اسم الكوكب لانهم زعموا انها تسير كما
ير الكواكب وتدور على الشمس ، وقد تقدم رد هذا وبيان بطلانه في اثناء الكتاب
راجع .

المثال الحادي عشر زعمهم ان في النجوم الثوابت شموساً مثل هذه الشمس أو اكبر
ها . وذكر الالوسي عنهم في صفحة ٦٨ ان النجوم الثوابت يعد كل واحد منها شمساً
يرى توابعها للبعد الشاسع .

وقال محمد رشيد رضا في صفحة ٦٣٧ من الجزء السابع من تفسيره . واننا نقتبس
نقل عن علماء الهيئة كلمة في ابعاد بعض النجوم الثوابت التي هي شموس من
س بسمسنا . وقال ايضاً في صفحة ٦٣٨ ومن الاعتبار قول صاحب المقتطف لما
ى من الكلام على النظام الشمسي ورجح أنه لا يصلح شيء من سياراته لحياة البشر
الأرض وانه يحتمل ان تكون سياراته سائر الشموس كذلك وكلها اكبر من هذه
مس .

والجواب ان يقال هذا كله تخرص ورحم بالغيب . والقرآن يرد هذا الزعم الكاذب
كذلك السنة . قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً
مراً منيراً) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) قال مجاهد
عيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة البروج هي الكواكب العظام . وقال البغوي
النجوم الكبار مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة أي ظهرت . وقال ايضاً وسميت
جاً لظهورها .

وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق
سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) وقال تعالى
ا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى
لقد زينا الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا
سابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) .

ففي هذه الآيات النص على ان الشمس والقمر في السماء . والنص على ان الله تعالى

جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجوماً للشياطين .

واذا كان كل من الشمس والقمر والنجوم في السماء فلِمَ ظهرت هذه الشمس وحدها واختفت شموس أهل الهيئة الجديدة مع انهم يزعمون ان كلا منها اكبر من هذه الشمس . فهذا مما يدل على بطلان قولهم .

وروى الامام أحمد والشيخان والدارمي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على اشد كوكب درى في السماء اضاءة » الحديث وقد رواه الترمذي مختصراً وقال هذا حديث صحيح .

وروى مسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما نحوه موقوفاً . ورواه الامام احمد مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم واسناده اسناد مسلم .

وروى الامام احمد ايضاً والترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ايضاً وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وروى الطبراني أيضاً في الاوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . قال الهيثمي واسناده صحيح وفي هذه الاحاديث دليل على ان اعظم كوكب في السماء لا يبلغ نوره مثل نور القمر فضلا عن ضوء الشمس ولهذا تكون الزمرة الاولى من أهل الجنة على صورة القمر وتكون الزمرة الثانية على اشد كوكب في السماء اضاءة .

ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة من كون النجوم الثوابت شموساً مثل هذه الشمس أو أكبر منها لكانت الزمرة الثانية من أهل الجنة افضل من الزمرة الأولى واعظم نوراً منهم بكثير . وهذا باطل قطعاً والاحاديث الصحيحة ترده .

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة قامت ثلة من الناس يسدون الافق نورهم كالشمس فيقال النبي الامي فيتحشحش لها كل نبي فيقال محمد وامته ثم تقوم ثلة أخرى تسد ما بين الافق نورهم مثل كل كوكب في السماء فيقال النبي الامي فيتحشحش لها كل نبي » الحديث قال الهيثمي رجاله وثقوا .

وفي رواية له أخرى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال « تخرج يوم القيامة ثلة غرمحجلون فتسد الافق نورهم مثل نور الشمس فينادي مناد النبي الامي فيتحشحش لها كل نبي امي فيقال محمدوامته فيدخلون الجنة ليس عليهم حساب ولا عذاب ثم تخرج ثلةاخرى غراً محجلين نورهم مثل نور القمر ليلة البدر فتسد الافق فينادي مناد النبي الامي فيتحشحش لها كل نبي أمي فيقال محمد وامته فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم تخرج ثلة أخرى نورهم مثل اعظم كوكب في السماء يسد الافق نورهم فينادي مناد النبي الامى فيتحشحش لها كل نبي أمي فيقال محمد وامته فيدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب» الحديث قال الهيثمي رجاله وثقوا على ضعف فيهم .

وهذا الحديث كالاحاديث قبله يدل على ان اعظم الكواكب لا يبلغ نوره مثل نور القمر فضلا عن ضوء الشمس .

وروى الامام احمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو ان رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوءه الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وهذا الحديث يدل على ان ضوء الكواكب كلها لا تقاوم ضوء الشمس فضلا عن ان يكون فيها ما هو اكبر من الشمس واعظم منها ضوأ بكثير .

وفي هذا الحديث والاحاديث قبله رد على الذين يتخرصون في الكواكب ويدعون فيها باشياء لا مستند لها سوى الظنون الكاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ثم قال تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

وايضاً فان الله تعالى لم يذكر في كتابه سوى شمس واحدة . وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر سوى شمس واحدة ، ولو كان هناك شموس غيرها لبينها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ۵ وقال ابو ذر رضي الله عنه «لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر

جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما »رواه ابن جرير .

ومن هذا القبيل من التخرص والرجم بالغيب زعمهم ان الاقمار عشرون قمراً واحد منها للارض واثنان للمريخ واربعة للمشتري وثمانية لزحل واربعة لاورانوس وواحد لنبتون . ذكر ذلك محمد فريد وجدي في كتابه دائرة المعارف .

وهذا قول باطل مردود بقول الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) .

فذكر تعالى أنه جعل في السماء بروجاً وهي الكواكب الكبار من السيارات وغير السيارات وانه جعل فيها سراجاً وهو الشمس وقمراً منيراً وهو القمر المعروف .

وفي هذه الآية دليل على انه ليس في السماء سوى شمس واحدة وقمر واحد ، ولو كان فيها شموس واقمار سوى هذه الشمس وهذا القمر لذكرها الله تعالى في كتابه ، قال الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) .

وايضاً فقد قال الله تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) .

وفي هاتين الآيتين أوضح دليل على انه ليس في السموات السبع سوى شمس واحدة وقمر واحد .

وفيهما ابلغ رد على ما يهذو به طواغيت الافرنج من الشموس والاقمار التي لا وجود لها .

وايضاً فقد قال الله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) الآية .

فذكر تعالى انه خلق الشمس والقمر والنجوم وسخرها بأمره . وفي هذا اوضح دليل على انه ليس في السماء سوى شمس واحدة وقمر واحد وما سواهما من اللامعات فكلها نجوم .

وايضاً فقد قال الله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) .

فذكر تعالى ان الليل والنهار والشمس والقمر آيات من آياته الدالة على كمال قدرته وعظيم شأنه وانه الإله الذي لاتنبغي العبادة إلا له دون من سواه . وفي هذه الآية دليل على انه ليس في الوجود سوى شمس واحدة وقمر واحد ، ولو كان فيه شموس واقمار سوى هذه الشموس وهذا القمر لذكرها الله تعالى مع هذه الآيات العظام .

وايضاً فقد قال الله تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) .

فذكر تعالى في الآية الأولى الليل والنهار والشمس والقمر وذكر في الآية الثانية النجوم وهي ما عدا الشمس والقمر من الاجرام السماوية . وهذه النجوم التي نص الله عليها في كتابه وذكر انه جعلها لعباده ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر هي التي يزعم طواغيت الافرنج ان منها شموساً اكبر من هذه الشمس بكثير وان منها اقماراً سوى هذا القمر ، وفي هذه الآية الكريمة ابلغ رد عليهم .

وايضاً فقد قال الله تعالى (فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الانسان يومئذ اين المفر) .

فذكر تبارك وتعالى ان القمر يخسف يوم القيامة وانه يجمع بينه وبين الشمس . وفي الحديث الصحيح انهما يكوران يوم القيامة وانهما ثوران في النار عقيران رواه البخاري والبزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وتقدم ذكره قريباً .

وفي هذا دليل على أنه ليس في السماء سوى شمس واحدة وقمر واحد ولو كان في السماء شموس واقمار متعددة كما يزعمه اهل الهيئة الجديدة لقال وجمعت الشموس والاقمار . ولقال النبي صلى الله عليه وسلم الشموس والاقمار مكورات يوم القيامة وانها ثيران عقيرة في النار .

وايضاً فقد قال الله تعالى (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت) فذكر تبارك وتعالى الشمس بلفظ المفرد لانها واحدة وذكر النجوم بلفظ الجمع لأنهامتعددة. ولو كان في السماء شموس متعددة لذكرها بلفظ الجمع كما ذكر النجوم بلفظ الجمع في الآية التي ذكرنا وفي آيات كثيرة سواها .

وايضاً فقد قال الله تعالى (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها) فذكر كلا من الشمس والقمر بلفظ المفرد لأن كلا منهما مفرد لا نظير له . ولو كان في السماء شموس واقمار متعددة لذكرها بلفظ الجمع .

وايضاً فقد قال الله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية فذكر تبارك وتعالى كلا من الشمس والقمر بلفظ المفرد لاتحاد كل منهما . ولو كان في الوجود شموس واقمار متعددة لذكرها بلفظ الجمع .

وايضاً فقد قال الله تعالى (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) الآية . فذكر تبارك وتعالى الشمس والقمر بلفظ المفرد لأن كلا منهما لا نظير له وذكر ما سواها بلفظ الجمع لأن كل جنس منها متعدد .

والآيات الدالة على بطلان قول أهل الهيئة الجديدة في تعدد الشموس والاقمار اكثر مما ذكرنا . وفيما ذكرنا كفاية لمن اراد الله هدايته .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث صحيحة انه قال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته » فذكر كلا من الشمس والقمر بلفظ المفرد لأنه لا نظير لواحد منهما . ولو كان هناك شموس واقمار متعددة لعبر عنها بلفظ الجمع .

والاحاديث التي ذكرت فيها الشمس أو القمر بلفظ المفرد كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية لمن اراد الله هدايته .

المثال الثاني عشر زعمهم ان صغار الكواكب الثوابت اعظم من الأرض ذكره الالوسي عنهم في صفحة ١٢٢ .

وهذا من جنس ما قبله من التخرص والرجم بالغيب ، وقد قدمنا ذكر الآيات والآثار الدالة على تكوير الشمس والقمر والنجوم في البحر يوم القيامة . وهذا يدل على ان الارض اعظم من الشمس والقمر وسائر الكواكب . وقد تقدم ايراد ذلك قريباً بما اغنى عن اعادته .

المثال الثالث عشر هذيانهم في بعد النجوم الثوابت عن الارض . قال الالومي في صفحة ٦٨ والنجوم الثوابت ليست من النظام الشمسي بل هي انظمة مستقلة ترى منها شمسنه كما ترى هي من عندنا أي نقطاً لامعة نيرة في القبة الزرقاء . وذكر محمد رشيد رضا في تفسيره سورة الانعام عن أهل الهيئة الجديدة ان النسر الطائر يبعد عن الارض سبعة وثمانين الف الف الف ميل يعني قريباً من أحد عشر الف الف الف سنة . وان النسر الواقع يبعد عن الارض مائة وثمانين الف الف الف ميل يعني قريباً من احدى وعشرين الف الف الف سنة . وان السماك الرامح يبعد عن الارض ثلثمائة الف الف الف الف ميل يعني قريباً من خمسة وثلاثين الف الف الف سنة . قال واول من قاس ابعاد النجوم بالضبط الفلكي (بستروف) فانه قاس بعد النسر الواقع سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٣٨ ميلادية فجاءت نتيجة قياسه مطابقة لنتيجة القياسات الحديثة مع ان الفلكيين يستخدمون الآن من الوسائل ما لم يكن معروفاً في عصره انتهى .

قلت وهذا كله باطل وضلال وهذيان يشبه هذيان المجانين والدليل على بطلانه قول الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) الآية . وقوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد) . وقوله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) وقوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) وقوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) والبروج هي الكواكب العظام .

فدلت هذه الآيات بالنص على ان الكواكب كلها قد جعلت زينة للسماء . ودلت الآيات الثلاث الاول على انها قد جعلت زينة للسماء الدنيا .

والنسر الطائر والنسر الواقع والسماك الرامح والسماك الاعزل من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء الدنيا .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من الصحابة وهم عبد الله بن عمرو وابو هريرة والعباس وابو سعيد رضي الله عنهم . وروى ايضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً

وله حكم الرفع كنظائره ، وقد تقدمت هذه الاحاديث مع الادلة على سكون الأرض وثباتها فلتراجع .

وروى الامام احمد وابو داود الطيالسي وابو يعلي والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ويل للامراء ويل للامناء ويل للعرفاء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وانهم لم يلوا عملا » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفي رواية لاحمد والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليوشكن رجل ان يتمنى انه خر من الثريا ولم يل من امر الناس شيئاً » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفي هذا الحديث دليل على ان النجوم الثوابت في السماء الدنيا فان الثريا من جملة الثوابت ولو علق فيها شيء كان متدلياً بين السماء والأرض ولو خر منها شيء خر على الأرض .

وفي هذا الحديث مع ما تقدم من الآيات والاحاديث ابلغ رد على ما يهذو به طواغيت الافرنج في ابعاد النجوم الثوابت وقد قال الله تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال تعالى (قل انما اتبع ما يوحى إلي من ربي) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى . ان هو إلا وحي يوحى) .

ومما ذكرنا من الآيات والاحاديث يعلم انه ليس بيننا وبين النجوم الثوابت إلا مسيرة خمسمائة سنة . واين هذه المسافة مما يهذو به طواغيت الافرنج من ملايين الملايين من السنين .

وقد قال بعض السلف ان ارتفاع العرش عن الارض السابعة خمسون الف سنة ، ورواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولو كان الامر في النجوم الثوابت على ما يزعمه طواغيت الافرنج ومن يصدقهم ويحذو حذوهم من جهال المسلمين لكانت الثوابت فوق العرش . وهذا من ابطل الباطل فانه ليس فوق العرش شيء سوى الله

تبارك وتعالى .

واما قولهم ان هذه الشمس ترى من الثوابت نقطة لامعة كما ترى الثوابت من عندنا نقطاً لامعة ، فهو من جنس ما قبله من الهذيان والتخرص ، ومن هو الذي ذهب إلى النجوم الثوابت فرأى الشمس منها نقطة لامعة ، وإذا كان الذهاب اليها ليس في مقدرة أحد من البشر فهل كان عندهم خبر ثابت عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وإذا كان ذلك معدوماً فليس لهم دليل سوى آرائهم الفاسدة وظنونهم الكاذبة وتوهماتهم الخاطئة ، وقد قدمنا من الآيات والاحاديث ما يكفي في ردها والنداء على بطلانها .

المثال الرابع عشر هذيانهم في وصول نور الشمس والكواكب الينا . فأما الشمس فزعموا ان نورها يصل الينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ . وأما الكواكب الثوابت فزعموا ان منها ما لا يصل نوره إلى الارض في مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة الضوء . ذكره الالوسي ايضاً في صفحة ٣٤ . وقال محمد رشيد رضا في صفحة ٦٣٧ من الجزء السابع من تفسيره وقد وجد بالرصد ان أقرب النجوم منا لا يصل نوره الينا إلا في اربع سنوات ونحو نصف سنة ومن النجوم ما لا يصل النور منه الينا إلا في الف سنة أو اكثر فالنجم المسمى بالنسر الطائر يصل النور منه الينا في اربع عشرة سنة ونصف سنة . والنجم المسمى بالنسر الواقع يصل النور منه الينا في نحو ثلاثين سنة ، والنجم المسمى بالسماك الرامح يصل النور منه الينا في نحو خمسين سنة .

قلت هذه الاقوال كلها تخرصات وظنون كاذبة . وقد رأينا نور الشمس ينتشر على ما قابله من حين يبدو طرف قرصها علينا إذا لم يكن هناك حائل من غيم أو قتر . وكذلك النسر الطائر والنسر الواقع والسماك الرامح وغيرها من الكواكب النيرة كلها يرى نورها من حين تبدو من الافق إذا لم يكن هناك حائل يمنع من رؤيتها . وهذه الكواكب من زينة السماء الدنيا كما نص الله على ذلك في كتابه . فالتفريق بين ابعادها ووصول نورها إلى الارض تفريق بين اشياء متماثلة وذلك باطل مردود .

المثال الخامس عشر قال الالوسي في صفحة ٩٤ وذهب المتأخرون من الفلاسفة إلى ان العالم كله كان قطعة واحدة فاصابته صدمة فتفرق إلى ما يرى من الاجرام وكثر منهم في ذلك القيل والقال .

قلت وهذا من نمط ما قبله من الهذيان الذي يشبه هذيان المجانين ، وهل يكون في امكان الصدمة ان تضع الارض والسموات والشمس والقمر والنجوم على هذا الوضع العجيب وان تنسقها هذا التنسيق المحكم الذي لا يقدر عليه الا الله الذي يقول للشيء كن فيكون . فهو الذي خلقها ورتبها على هذا الترتيب الباهر الذي هو الغاية في الاتقان . قال الله تعالى (صنع الله الذي اتقن كل شيء) .

فالاجرام السفلية والاجرام العلوية لم تصب بصدمة ابدا كما يزعمه اعداء الله تعالى وانما قيل لها كوني فكانت كما اراد فاطرها وموجدها من العدم لا إله الا هو ولا رب سواه (انما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) .

وقد قال الله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن خلق السموات والارض فقال صلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة » .

وروى ابن جرير ايضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال « ان الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الارضين في الأحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » . . . .

وروى ابن جرير أيضاً من طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من إصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في الأحد والاثنين وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول انبت شجرها (وقدر فيها اقواتها) يقول اقواتها لاهلها (في اربعة أيام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسألك هكذا الأمر (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض (واوحى في كل سماء امرها) قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه غيره ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش فذلك حين يقول (خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) ويقول (كانتا رتقاً ففتقناهما) » .

وقال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (واوحى في كل سماء امرها) قال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها ، وقال مقاتل واوحى إلى كل سماء ما اراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة انتهى . . . . .

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما وما ذكر بعده من الآثار عن الصحابة والتابعين دليل على ان كل شيء من العالم قد خلق على حدته وان الأرض خلقت قبل السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . بل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان الشمس والقمر والنجوم خلقت يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة التي خلق الله فيها الخليقة .

وفي هذا ابلغ رد على ما زعمه اعداء الله من ان العالم كله كان قطعة واحدة فاصابته صدمة فتفرق إلى ما يرى من الاجرام .

المثال السادس عشر زعمهم ان الاجرام العلوية ممسكة بالجاذبية . ذكره الالوسي عنهم في مواضع كثيرة من كتابه وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة . وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل . وقد قال الله تعالى (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) .

المثال السابع عشر زعمهم ان في القمر جبالا ووهادا واودية وهكذا الشمس وسائر السيارات وظنوا ان فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض وزعموا ان فيها بحارا وانهاراً . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٩ .

وهذا من التخرص والرجم بالغيب . وقد تقدم التنبيه على ذلك مع الامثلة على نقصان كتاب الالوسي فليراجع .

المثال الثامن عشر ما في تخرصاتهم في الشمس والقمر من التناقض والتخبيط . فمن ذلك انهم قالوا ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم وان الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٢٣ ، ٢٩ ثم نقضوا قولهم هذا فزعموا ان للشمس حركة على نفسها . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٣ و ٦٦ ، ثم نقضوا ذلك فزعموا ان للشمس حركة على كوكب من كواكب الثريا . وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر ابعد منه وهكذا إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ و ١١٩ و ١٢٩ . ثم نقضوا ذلك فزعموا ان النجوم الثوابت انظمة مستقلة . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٦٨ .

قلت أما قولهم ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم فهو مردود بما تقدم في اول الكتاب من النصوص الدالة على جريانها و دورانها على الارض .

وأما قولهم ان الأرض تتحرك على الشمس فهو مردود بما تقدم في اول الكتاب من الادلة الكثيرة على سكون الأرض وثباتها . . . وأما قولهم ان للشمس حركة على نفسها او على كوكب من كواكب الثريا فقد تقدم التنبيه على بطلانه مع الامثلة على نقصان كتاب الالوسي .

وأما قولهم ان النجوم الثوابت انظمة مستقلة فمعناه ان كل واحد منها يعد مركزاً ثابتاً كالأرض وله توابع من النجوم تدور عليه كما تدور الشمس والقمر والنجوم على الأرض . وقد ذكر الالوسي في صفحة ٦٨ عن اهل الهيئة الجديدة انهم قالوا في النجوم الثوابت ان كل واحد منها يعد شمساً لا يرى توابعها للبعد الشاسع .

قلت وانما قالوا يعد شمساً لان عندهم ان الشمس هي المركز الثابت الذي تدور عليه الارض والسيارات من النجوم . بخلاف ما عليه المسلمون من القول بثبات الأرض وانها هي المركز الذي تدور عليه الشمس والقمر والنجوم .

وقد ذكرت في المثال الثالث عشر نموذجا من هذيان اهل الهيئة الجديدة في بعد النجوم الثوابت عن الارض واختلاف بعضها عن بعض في البعد وذكرت الادلة على بطلان قولهم وفيها النص على ان الكواكب كلها من زينة السماء الدنيا . واذا كانت النجوم الثوابت من زينة السماء الدنيا فليس لشيء منها نظام يتبعه ويدور عليه لانها لو كانت لها توابع تدور عليها لكانت توابعها تخترق السماء في حال دورانها وهذا باطل

وانما قالوا بدوران الشمس على الثريا وان النجوم الثوابت لكل واحد منها نظام يتبعه ويدور عليه لانهم يرون ان سعة الجو غير متناهية وانه ليس فوقنا سموات مبنية شداد . وقد تقدم رد هذا في المثال الثالث والمثال الرابع

وقد قال الله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقال تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وفي هاتين الآيتين اشارة الى ان الشمس والقمر والنجوم كلها تجري وتدور

على الارض لقيام مصالح العباد ومعايشهم ولهذا امتن الله تبارك وتعالى عليهم بذلك في هذه الآية الاخيرة وفي قوله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) وقوله تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم .وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)

قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد اخطأ واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ذكره البخاري في صحيحه تعليقا مجزوما به ووصله عبد بن حميد وابن ابي حاتم وغيرهما . . . . واذا علم هذا فالنجوم الثوابت كلها في فلك واحد تدور فيه جميعا على ترتيب واحد لا يتقدم شيء منها عن موضعه ولا يتاخر عنه كما هو مشاهد . وقد قرر ذلك الامام ابو الحسين احمد بن جعفرين المنادي وذكر انه لا خلاف بين العلماء في ذلك - ونقله عنه شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ــــ ومن تناقضهم ايضا انهم شكلوا للنظام الشمسي شكلا في وسطه الشمس ثم عطارد وبعده الزهرة ثم الارض ثم القمر ثم المريخ الى آخر ما زعموه من السيارات . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٦٧ . ثم نقضوا ذلك فزعموا ان القمر من سيارات السيارات وليس من السيارات . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ وقد تقدم الكلام على هذا التناقض في المثال الثامن فليراجع ...

المثال التاسع عشر زعمهم ان الارض جرم من الاجرام السماوية ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٦٧

وعلى هذا الزعم الكاذب والرأي الفاسد اعتمد كثير من جهال المسلمين فكانوا لذلك يسمون الارض الكوكب الارضي

ولازم هذا القول ان تكون الارض من جملة الزينة التي زين الله بها السماء الدنيا وجعلها رجوما للشياطين . وهذا من ابطل الباطل . وكيف تكون الارض جرما من الاجرام السماوية وبينها وبين السماء مسيرة خمسمائة عام . هذا لا يقوله من له ادنى مسكة من عقل

وقد تقدم التنبيه على هذا الخطأ الكبير عند قول الصواف ان لونا (٩) ارسلت صورا تلفزيونية الى الكوكب الارضي فليراجع .

واذا كان حاصل الهيئة الجديدة ما ذكرنا من هذه الامثلة فكيف يقال انها قوية البرهان وان القرآن يعضدها . هذا قول باطل مردود . والصواب انها عديمة البرهان . والقرآن شاهد ببطلانها

الامر الثالث من اخطاء الصواف زعمه ان اهل الهيئة الجديدة مسلمون عرف اكثرهم بالتقوى والصلاح

والجواب ان يقال هذا تمويه وتلبيس على الجهلة الاغبياء وليس الامر كما زعمه الصواف . فان اهل الهيئة الجديدة ليسوا من المسلمين وانما هم من فلاسفة الافرنج . وقد صرح الالوسي في صفحة ٢٣ من كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) انهم هرشل الانكليزي واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد وانهم هم الذين تخيلوا خلاف ما ذهب اليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بان الشمس مركز وان الارض والنجوم دائرة حولها .

وذكرهم ايضا في صفحة ٣٣ و٤٦ و٥٩ و٩٥ واشار اليهم في مواضع كثيرة سوى هذه الموضع وسمى منهم هرشل في صفحة ٢٣ و٣٤ و٤٥ وسمى منهم ايضا في صفحة ٣٣ و٣٤ اولبوس وهاردنق وبياظي وسمى منهم محمد رشيد رضا وستروف . وقد ذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف منهم كوبرنيك البولوني وتيخو براهي الدانماركي وكبلر وغاليليه ونيوتن الانجليزي وهرشل الانجليزي . ومنهم ايضا داروين الانجليزي . فهولآء الفلاسفة كلهم من الافرنج وهم اساطين الهيئة الجديدة . واقوالهم هي التي اودعها الالوسي في كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) فهل يقول الصواف انهم مسلمون معروفون بالتقوى والصلاح ، أم ذا يجيب به عن قوله الذي لم يتبين فيه وفيما يترتب عليه من الحكم لا عداء الله تعالى بالاسلام والتقوى والصلاح

فان ادعى انهم غير هولاء الذين سماهم الالوسي وغيره فالجواب ان يقال انت انما اعتمدت على كتاب الالوسي وما نقله عن علماء الهيئة الجديدة ، والالوسي لم

ينقل عن احد من علماء المسلمين في امر الهيئة الجديدة شيئا ولا ادعى ان علماء الهيئة الجديدة مسلمون . وقد صرح في صفحة ٢٣ ان هرشل الفيلسوف واتباعه هم اصحاب الرصد والزيج الجديدة وانهم هم الذين تخيلوا خلاف ما ذهب اليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بان الشمس مركز وان الارض والنجوم دائرة حولها . وهذا صريح في تعيين اهل الهيئة الجديدة وانهم من الافرنج لا من المسلمين

وفيه ابطال لما يدعي به الصواف في غيرهم ان ادعى ذلك

ولو فرضنا ان اهل الهيئة الجديدة مسلمون ومعروفون بالتقوى والصلاح كما زعمه الصواف لما كانت ظنونهم وتخرصاتهم في السموات والارض والشمس والقمر والنجوم مقبولة من اجل اسلامهم وتقواهم وصلاحهم . وانما هي مردودة عليهم لمخالفتها لمدلول الكتاب والسنة واجماع المسلمين .

وقد ذكرت تسعة عشر مثالا مما نقله الالوسي من الاقوال الباطلة ونبهت على بطلانها فليراجع

الامر الرابع قوله ان راي الالوسي هو الكفاية في رد الامر الى نصابه وبيان الحق الصراح وصوابه

والجواب ان يقال ليست الكفاية في اقوال الرجال وآرائهم وانما الكفاية في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما الميزان العدل الذي توزن به اقوال الرجال وآرائهم فما وافقهما فهو حق مقبول وما خالفهما فهو باطل مردود

وقد اضطرب قول الالوسي فيما نقله عن اهل الهيئة الجديدة . ففي بعض المواضع يوافقهم ويتعسف في تطبيق الآيات على ما يوافق اقولهم . وفي بعض المواضع يذكر اقوالهم ويسكت وفي بعض المواضع يخالفهم ويقول انه يجب الرجوع في هذا الى ما دل عليه الكتاب والسنة وانه لا يسلم لهم الا ما لم يلزم منه محذور في الدين . وهذه المواضع التي خالفهم فيها وقال انه يجب الرجوع الى ما دل عليه الكتاب والسنة هي التي رد الامر فيها الى نصابه واتى ببيان الحق وصوابه . وما سواها فهو باطل مردود لمخالفته لمدلول الكتاب والسنة واجماع المسلمين

وقد ذكرت كثيرا من اخطائه في اول هذا الفصل ونبهت على بطلانها فلتراجع

الامر الخامس قوله ان علماء الاسلام قد نطقوا بما نقله الالوسي عن اهل الهيئة الجديدة قبل ان يكون للكفار والمشركين علم فلك ولا نظر في النجوم ....

والجواب ان يقال ليس هذا بصحيح وانما هو في الحقيقة مكابرة وتمويه على ضعفاء البصيرة . اذ من المعلوم ان اول من تكلم في علم الهيئة والنجوم هم فلاسفة اليونان وكانوا قبل زمان المسيح بدهر طويل وكانوا مشركين يعبدون الكواكب والاصنام ولم ينقل عن احد من سلف الامة وائمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان انهم تكلموا في علم الهيئة بشيء حتى عربت كتب اليونان في زمن المأمون فظهر الكلام في علم الفلك والنجوم منذ ذلك الزمان ولم يكن يعاينه ويشتغل به الا الفلاسفة والمنجمون الذين هم من اقل الناس حظا في الاسلام . وكثير منهم يظهرون الاسلام نفاقا وتقية . ومنهم من هو اضر الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى كنصير الشرك الطوسي وابن سينا وامثالهما من رؤساء الفلاسفة الذين ينتسبون الى الاسلام وهم في غاية البعد عنه.

ولم يذكر عن احد من علماء المسلمين ولا الفلاسفة المنتسبين الى الاسلام انهم قالوا بشيء من اقوال اهل الهيئة الجديدة سوى القول بكروية الارض . وليس اهل الهيئة الجديدة اول من قال بذلك حتى ينسب القول به اليهم . وانما هو ما ثور عن علماء المسلمين . وقد تقدم كلام شيخ الاسلام ابي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك . وما ذكره من الاتفاق على ذلك في اول الكتاب مع الادلة على سكون الارض واستقرارها وكذلك ما نقله عن أبي الحسين بن المنادي أنه حكى الإجماع على ذلك فليراجع

وقد كان القول بسكون الارض واستقرارها وجريان الشمس والقمر والنجوم هو المعروف عند المسلمين

وقد حكى القرطبي اجماع المسلمين وأهل الكتاب على ذلك .

وأول من قال بخلاف هذا هو كوبرنيك البولوني واتباعه من الافرنج . ذكره عنهم محمد فريد وجدي في كتابه دائرة المعارف . ثم قال به هرشل الانكليزي واتباعه من الافرنج كما صرح بذلك الالوسي في صفحة ٢٣ من كتابه الذي كان الصواف ينقل منه ويعتمد عليه

وكان كوبرنيك في آخر القرن العاشر من الهجرة وكان مولد هرشل في سنة ١٧٣٨ ميلادية ومات في سنة ١٨٢٢ .

وهرشل واتباعه هم الذين كان الألوسي ينقل عنهم ويتعسف في تطبيق الآيات على ما يوافق اقوالهم . وليسوا من علماء الاسلام كما قد زعمه الصواف وإنما هم من أعداء الاسلام . ولا يخلو الصواف في زعمه فيهم من أحد أمرين . إما إرادة التمويه والتلبيس على الجهلة الاغبياء بما لا حقيقة له في نفس الامر . وإما شدة الغباوة فيه حيث نبا فهمه عما صرح به الالوسي في صفحة ٢٣ و٣٣ و٣٤ و٣٦ و٥٩ و٩٥ من كون أهل الهيئة الجدية من الافرنج

الامر السادس ما نقله الصواف عن الالوسي بما ذكره عن أهل الهيئة الجديدة أنهم قالوا ان الارض جرم من الاجرام السماوية وانها تابعة للشمس ودائرة حولها وأن النجوم الثوابت انظمة مستقلة ترى منها شمسنا كما ترى هي من عندنا أي نقطا لامعة نيرة في القبة الزرقاء . وأن الارض كروية الشكل وإنها سابحة في الفضاء وان لها حركة يومية على محورها وحركة سنوية على الشمس . وأن القرآن لم يذكر فيه شيء مما يخالف ما عليه أهل الهيئة اليوم

و الجواب أن يقال كل ما ذكره ههنا باطل سوى القول بكروية الارض . وقد تقدم الرد عليه في مواضع كثيرة فأغنى عن إعادته ههنا

الامر السابع ما نقله الصواف عن الالوسي أنه قال وفي الخبر « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت » الحديث قال الالوسي وهذا لا ينافي حركة الارض اليومية والسنوية التي قال بها اهل الهيئة فان الله تعالى لو لم يخلق في الارض الجبال لمادت فلما القى فيها الرواسي وهي الجبال انتفى ذلك . ووجه كون الالقاء مانعاً من اضطراب الارض انها كسفينة على وجه الماء والسفينة اذا لم يكن فيها اجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب الى جانب ، وان وضعت فيها اجرام ثقيلة تستقر فكذا الارض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت فالجبال بالنسبة اليها كالاجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة اليها ، والمقصود ان جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه كما ان السفينة اذا كان فيها اجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب الى جانب لا ينافي حركتها .

والجواب ان يقال ان الخبر الذي ذكره الالوسي حجة عليه فان فيه ان الارض

كانت تميد فلما القيت الجبال عليها استقرت . وهذا نص في سكون الارض وثباتها . والاستقرار ينافي السير والحركة كما لا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة .
وأما تشبيه الارض بالسفينة على وجه الماء وانها اذا وضعت فيها اجرام ثقيلة لم تمنع حركتها وسيرها فهو تشبيه غير مطابق لان الارض قد ارسيت بالجبال من جميع نواحيها والجبال متوجهة بثقلها نحو المركز الذي هو وسط الارض فصارت للارض كالاوتاد التي تمنعها من الحركة ولهذا قال الله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا . والجبال اوتادا) قال ابن منظور في لسان العرب واوتاد الارض الجبال لانها تثبتها انتهى

واذا كانت الجبال اوتاداً للارض فالتشبيه المطابق هو تشبيهها بالسفينة التي قد وضع فيها ما يثقلها واوتدت بالاوتاد في مرساها فوقفت فيه ولم تتحرك .

وأما قول الالوسي ان السفينة اذا وضعت فيها اجرام ثقيلة تستقر فكذا الارض لو لم يكن عليها هذه الجبال لاضطربت — الى ان قال —

ان جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه فجوابه ان يقال ان لاستقرار ينافي السير والحركة كما هو معروف في لغة العرب . قال في القاموس وشرحه قرّ بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقروراً وقراً وتقره ثبت وسكن فهو قار كاستقر وتقار وهو مستقر انتهى .

واذا كان الاستقرار معناه الثبات والسكون فاستقرار الارض المذكور في الخبر المتقدم معناه سكونها وثباتها وذلك ينافي حركتها وسيرها. وكذلك استقرار السفينة معناه وقوفها وثباتها في مرساها وذلك ينافي حركتها وسيرها .

وأما ان يقال في السفينة السائرة اذا وضعت فيها الاجرام الثقيلة التي تمنع اضطرابها وميلها من جانب الى جانب انها مستقرة في حال سيرها وجريانها في الماء فهذا لا يعرف في لغة العرب .

وقد حاول الالوسي الجمع بين استقرار الاض وحركتها واستقرار السفينة وحركتها وذلك خطأ مردود من وجهين . احدهما مخالفته لغة العرب . والثاني جمعه بين النقيضين .

الامر الثامن قوله فهل رأيتم كلاماً أصرح من هذا الكلام في كروية الارض وحركتها .

والجواب ان يقال اما كروية الأرض فقد تقدم ما هو اصرح منه في كلام شيخ الاسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وما نقله عن أبي الحسين ابن المنادي في ذلك

وأما حركتها فقد تقدم رده وبيان بطلانه وذكرت هناك الادلة من الكتاب والسنة على ثبات الارض واستقرارها . وما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي من اجماع أهل السنة على ذلك . وكذلك ما حكاه القرطبي من اجماع المسلمين وأهل الكتاب على ذلك . فهذا أصرح وأوضح مما ذهب اليه الصواف وجادل به من القول الباطل ليدحض به الحق

الأمر التاسع قوله أليس هذا من مفاخر علمائنا وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية .

والجواب ان يقال كل ما نقله الصواف عن الالوسي فهو مما نقله الالوسي عن اهل الهيئة الجديدة وهم كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي وأتباعهما من فلاسفة الافرنج . فهؤلاء هم علماء الصواف الذين يفتخر بهم ويثني عليهم وبئس العلماء هؤلاء . وهم في الحقيقة مخذولون وليسوا موفقين .

ويقال أيضاً ليس ما قاله اهل الهيئة الجديدة في العلوم الكونية صوابا وقولا سديدا حتى يفتخر بهم الصواف ويثني عليهم . وانما هي تخرصات وظنون كاذبة أوحاها الشيطان اليهم وخدعهم بها وخدع بها على أيديهم وأيدي أتباعهم بشراً كثيراً فخالفوا لاجلها نصوص الكتاب والسنة على جريان الشمس ووجود السموات السبع . وخالفوا ايضاً الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين على ثبات الارض واستقرارها .

الى غير ذلك من اقوالهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع ، وقد تقدم التنبيه على ذلك في مواضعه .

ولو فرضنا ان احداً من علماء المسلمين سبق اهل الهيئة الجديدة الى ما قالوه من التخرصات في الارض والسموات والشمس والقمر والنجوم لكان ذلك عيباً ونقصاً على من قاله واستحق بذلك الذم والتحذير من قوله . ولم يكن ذلك منقبة وفضيلة يفتخر بها ويثني على صاحبها كما ذهب اليه الصواف .

الامر العاشر قوله ان في كتاب الالوسي من الكلام الواضح الذي يدل على ما بلغوه من الدرجات العليا في العلوم الكونية وحركات الافلاك رحمهم الله وجزاهم عن

الاسلام خير الجزاء ..

والجواب أن يقال ان غالب ما ينقله الالوسي عن اهل الهيئة الجديدة مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين . وقد تقدم ايضاح ذلك في مواضع كثيرة ، ومما كان مخالفاً للكتاب والسنة واجماع المسلمين فهو بعيد من الوضوح غاية البعد وقد بلغ الدركات السفلى في السقوط والتخبيط . فابعد الله أعداءه من أهل الهيئة الجديدة وجزاهم عما أدخلوه على أهل الاسلام من التخرصات والظنون الكاذبة شبر الجزاء فلقد كانوا كما قال الله تعالى في اسلافهم (قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوء السبيل).

وبعد فهل تدري أيها الصواف على من تترحم وتسأل الله ان يجزيهم عن الاسلام خير الجزاء

انهم اعداء الله من فلاسفة الفرنج . واولهم كوبرنيك البولوني ثم اتباعه من الافرنج ومن إعيانهم تيخوبراهي الدانمركي وكبلر وغاليله ونيوتن الانجليزي وهرشل الانجليزي وداروين الانجليزي وأولبوس الانجليزي »وهارذنق »وبياظى وستروف فهولاء كلهم من الافرنج وهم اساطين الهيئة الجديدة واقوالهم هي التي اودعها الالوسي في كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك قريبا في الامر الثالث والامر الخامس (فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم)

فصل

قال الصواف : احاطة السماء بالارض والقول بالجاذبية . ثم نقل عن الالوسي ما ذكره في صفحة ١٠٩ في تفسير قوله تعالى (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) وما ذهب إليه أهل الهيئة المتاخرون من أن قيام العالم العلوي والسفلي بالجاذبية لا يخالف الآية الكريمة فالله سبحانه هو الذي اودع تلك الجاذبية وبامره كانت . وفي الخبر ان الارض بالنسبة إلى السماء الدنيا كحلقة في فلاة وهما بالنسبة إلى العرش كذلك . ثم قال الصواف فسبحان من لا يحيط بشيء من علمه احد

والجواب ان يقال أما ما ذكره الالوسي عن اهل الهيئة المتأخرين من ان قيام العالم العلوي والسفلي بالجاذبية فهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل . وقد تقدم التنبيه على ذلك قريباً .

وأما ما ذكره من الخبر في عظم السماء الدنيا بالنسبة الى الارض فهو غلط . ولفظ الحديث عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » رواه ابن مردويه . وقد تقدم التنبيه على ذلك في اول الفصل الذي قبل هذا الفصل .

وأما قوله فسبحان من لا يحيط بشيء من علمه احد فهو خطأ ظاهر ويلزم على هذا الاطلاق ان يكون بنو آدم كلهم جهالا الانبياء فمن دونهم . وكذلك الملائكة ومؤمنو الجن .

والصواب اثبات ما اثبته الله تعالى من احاطتهم من علمه بما شاء ان يعلموه . قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فكل ما يعلمه العباد من العلم الصحيح فهو مما اطلعهم الله تعالى عليه من علمه وشاء ان يعلموه . قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه) قال ابن كثير اي فيه علمه الذي اراد ان يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب الا ان يعلمه الله به انتهى .

وقد قال الله تعالى (ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) وقال تعالى مخبراً عن الملائكة (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) .

وروى الامام احمد والبزار والطبراني في الكبير والاوسط عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله عز وجل يقول يا عيسى اني باعث بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال يا رب كيف هذا لهم ولا حلم

ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي » قال الهيثمي رجال احمد رجال الصحيح غير الحسن بن شوار وأبي حلبس يزيد بن ميسرة وهما ثقتان .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة موسى والخضر عليهما السلام قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة او نقرتين فقال الخضر ما علمي وعلمك في علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر .

فصـــل

ونقل الصواف عن الالوسي انه قال وأما الارضون السبع فقد حارت فيها عقول المفسرين وذكروا فيها اقوالا كثيرة وقد جعلها الله تعالى مثل السموات والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الاوصاف . فقال الجمهور المثلية هنا في كونها سبعا وكونها طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله عز وجل لا يعلم حقيقتهم الا الله تعالى . وورد في بعض الاخبار . في كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى . والمراد ان في كل ارض خلقاً يرجعون الى اصل واحد رجوع بني آدم في ارضنا الى آدم وفيهم افراد ممتازون على سائرهم كنوح وابراهيم وغيرهما فينا . وقول الجمهور هذا اصح سائر الاقوال وهو ان بين كل ارض وارض من السبع مسافة عظيمة وفي كل ارض خلق لا يعلم حقيقتهم الا الله عز وجل ولهم ضياء يستضيئون به . ويجوز ان يكون عندهم ليل ونهار ولا يتعين ان يكون ضياؤهم من هذه الشمس ولا من هذا القمر .

والجواب ان يقال أما كون الارضين سبعا مثل السموات فقد دل عليه قول الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن).

ودلت على ذلك ايضاً الاحاديث الكثيرة التي فيها اثبات سبع ارضين .

ودل قوله صلى الله عليه وسلم « من اخذ من الارض شيئاً بغير حقه خسف به

يوم القيامة الى سبع ارضين » على ان الأرضين بعضهن فوق بعض . وذكر ابو بكر الانباري الاجماع على ذلك .

واما تقدير المسافة بين كل ارضين فقد جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد من حديث قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين كل ارضين سبعمائة عام ، ورواه الترمذي وعنده ان بين كل ارضين خمسمائة سنة . وقال الترمذي حديث غريب . قال ويروى عن ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زايد انهم قالوا لم يسمع الحسن من ابي هريرة . ورواه ابن جرير من حديث سعيد بن ابي عروبة عن قتادة مرسلا . قال ابن كثير ولعل هذا هو المحفوظ .

قلت وهذا الخبر لم يصح اسناده فلا يعتمد عليه في تقدير المسافة بين كل ارضين. واما ما فيه من تقدير المسافة بين السماء والارض بخمسمائة عام فهو ثابت من حديث عبد الله بن عمرو وابن مسعود والعباس وابي سعيد رضي الله عنهم وقد تقدمت احاديثهم في اول الكتاب .

وأما قوله وفي كل ارض سكان من خلق الله عزوجل لا يعلم حقيقتهم الا الله تعالى

فجوابه ان يقال اثبات السكان في كل ارض غير الارض العليا يحتاج الى دليل من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا دليل على ذلك

و أما الاثر المروي في ذلك من طريق أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في كل ارض نبي كنبيكم الى أخره . فهو اثر منكر جدا . قال البيهقي هو شاذ بمرة لا اعلم لابي الضحى عليه متابعا . وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية وقال انه محمول ان صح نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما على انه اخذه من الاسرائيليات .

قلت ومثله لا يثبت به شيء والله اعلم

و أما قوله و لهم ضياء يستضيئون به ويجوز ان يكون عندهم ليل ونهار ولا يتعين ان يكون ضياؤهم من هذه الشمس ولا من هذا القمر

فجوابه أن يقال كل هذه تخرصات لا دليل عليها من كتاب ولا سنة وما لم يكن عليه

دليل فليس عليه تعويل ، وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)

فصل

قال الصواف لقد رصد اسلافنا القمر قبل أهل الشرق والغرب واهتموا اهتماما عجيبا بتحقيق الامر فيه . ويظهر لى انه لو كانت لهم من الوسائل مالعلماء الفلك في هذا العصر لحاولوا الصعود اليه لكشف أمره وتحقيق الحكم فيه . وقد جاء في كتاب مادل عليه القرآن صفحة ١٢٩ وقد غلب على ظن اكثر اهل الحكمة الجديدة ان القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار ويزعمون انهم يحسون بها بواسطة ارصادهم وهم مهتمون بالسعى في تحقيق الأمر فيه . هذا ما قاله مؤلف الكتاب قبل ما يقرب من خمسين سنة ونقله عن علماء مسلمين قالوه قبل مئاة السنين . وارجو ان يلفت القاري الى عبارتين وردتا في هذه الفقرة التي نقلتها من الكتاب . الاولى ان القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار وانهم احسوا بها في مراصدهم . والثانية قوله وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الامر فيه . ألا تدل هاتان العبارتان على العجب العجاب الذي وصل اليه علماء المسلمين منذ قرون . أما كان الواجب علينا ان نتمم ما بدأوه من بحوثهم العلمية المستفيضة في علوم الكون والفلك وغيرهما . وهل سار علماؤنا في هذا الطريق الا بامر من الله ووحي من فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . والله تبارك وتعالى حينما يقول وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس (قل انظروا ماذا في السموات والارض) فهل المراد مجرد النظر للتفرج والتفكه والتسلي ام هو النظر للبحث والعلم والتحقيق والاعتبار والادكار .

والجواب ان يقال لم يكن احد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم باحسان ولا أئمة العلم والهدى من بعدهم يرصدون القمر ويرجمون بالغيب عما فيه وحاشاهم من التخرصات واتباع الظنون الكاذبة . . ولو كان رصد القمر والبحث عما فيه

خيراً لكان الصحابة رضوان الله عليهم اسبق إلى ذلك من غيرهم . وكذلك التابعون وائمة العلم والهدي من بعدهم .

وقد غلب على ظن أكثر أهل الحكمة الجديدة إلى آخر كلامه . وذكر الالوسي أيضا في صفحة ١٠١ و ١٠٢ ان أهل الارصاد اليوم كشفوا في القمر جبالا ووهادا وأودية وهكذا الشمس وسائر السيارات وظنوا ان فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض وزعموا ان فيها بحاراً وانهاراً . وصرح الالوسي أيضاً في عدة مواضع من كتابه ان أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج . وصرح في صفحة ٢٣ انهم هرشل واتباعه . وذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ان غاليليه هو الذي اخترع المنظار الفلكي فرصد به القمر فرأى فيه الجبال والاودية والظلال الكثيفة الممتدة على سهوله .

قلت وكان غاليليه في القرن الحادي عشر من الهجرة وهو الذي نشر أقوال كوبرنيك البولوني .

فهولآء هم اسلاف الصواف الذين رصدوا القمر واهتموا بتحقيق الامر فيه . وبئس ما رضي الصواف لنفسه حيث جعل كوبرنيك وغاليليه وهرشل واتباعهم من فلاسفة الافرنج سلفا له .

وأما قوله وقد غلب على ظن أكثر أهل الحكمة الجديدة أن القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار ويزعمون انهم يحسون بها بواسطة ارصادهم وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الامر فيه .

فجوابه ان يقال ما ذكره الالوسي عن أهل الهيئة الجديدة كله تخرص ورجم بالغيب. ومن اين لهم أكتشاف القمر وتحقيق الأمر فيه وهو في السماء بنص القرآن وبين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة فقدرتهم عاجزة عن اكتشافه من هذا البعد الشاسع وتحقيق الأمر فيه .

وقد انفق بعض كبار الدول في زماننا اموالا كثيرة وبذلوا غاية الجهد في محاولة الوصول إلى القمر وتحقيق الأمر فيه فما استطاعوا ذلك ولن يستطيعوه أبداً . وقد صرح بعض الاذكياء من علمائهم المختصين بمعرفة الارصاد انهم لن يستطيعوا الوصول إلى القمر .

وأما اطلاقه وصف الحكمة على فلاسفة الأفرنج فهو خطأ ظاهر . . . والصواب انهم أهل الغباوة والجهل الكثيف ، وقد تقدم التنبيه على هذا مع ذكر اخطاء الالوسي .

وأما قوله ونقله عن علماء مسلمين قالوه قبل مئات السنين .

فجوابه ان يقال هذا غلط فاحش لان الذين نقل عنهم الالوسي في شأن القمر ما نقل ليسوا بمسلمين وانما هم اهل الهيئة الجديدة ، وقد ذكرت مراراً ان الالوسي صرح في عدة مواضع من كتابه ان أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج . وصرح في صفحة ٢٣ انهم هرشل واتباعه .

وقول الصواف انهم قالوه قبل مئات السنين ليس بصحيح لان هرشل واتباعه انما كان زمانهم من نحو مائتي سنة فاقل . وانا نتحدى الصواف ان يسمى لنا علماء المسلمين الذين نقل عنهم الالوسي في شأن القمر مانقل . وان يذكر كتبهم التي ذكروا فيها ذلك ان كان صادقاً . وما ابعده من الصدق .

وأما قوله وارجو ان يلفت القاريء إلى عبارتين . الاولى ان القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار وانهم احسوا بها في مراصدهم . والثانية قوله وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الامر فيه .

فجوابه ان يقال وهل ظننت ايها الصواف ان هاتين العبارتين من كتاب الله تعالى أو مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترجو من القراء ان يلفتوا نظرهم إليهما . وأي فائدة للقراء في تخرصات اعداء الله وظنونهم الكاذبة وما اوحاه الشيطان إليهم حتى يلفتوا نظرهم إلى ذلك بل الحق انه ينبغي للقراء الذين عافاهم الله تعالى من اتباع الظنون الكاذبة إذا وقفوا على مثل هاتين العبارتين ان يحمدوا الله الذي عافاهم مما ابتلى به المتخرصين المتكلفين ما لا علم لهم به وما ابتلى به اتباعهم من جهال المسلمين المفتونين بزخارفهم وهذيانهم .

وأما قوله ألا تدل هاتان العبارتان على العجب العجاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون .

فجوابه ان يقال قد ذكرنا ان الذين تخرصوا في القمر وزعموا فيه ما زعموا ليسوا بمسلمين وانما هم من فلاسفة الافرنج وهم أهل الهيئة الجديدة ومن اولهم كوبرنيك البولوني وكان في القرن العاشر من الهجرة . ثم كان بعده كبلر وغاليليه وكانا في

القرن الحادي عشر من الهجرة ثم هرشل الانكليزي واتباعه وكانوا في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر من الهجرة . ولو فرضنا ان احداً من المسلمين تخرص في القمر منذ قرون وقال فيه بما قاله أهل الهيئة الجديدة فيه لما كان تخرصه فيه مقبولا من أجل إسلامه بل ذلك مردود لما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن . وأي فائدة للمسلمين في التخرصات والظنون التي ما انزل الله بها من سلطان .

ويقال أيضاً ليس العجب العجاب من كفار يتخرصون في القمر ويرجمون بالغيب عما فيه فما هم عليه من الكفر بالله تعالى اعظم من تخرصاتهم وظنونهم في القمر . وإنما العجب العجاب من رجل مسلم ينتسب إلى العلم ويتصدر للتدريس والارشاد وهو مع هذا يصدق اعداء الله في تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ولا يتورع من الافتراء لتأييد القول الباطل الذي هو مفتون به . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

يقضى على المرء في أيام محنتـــه   حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وأما قوله أما كان الواجب علينا ان نتمم ما بدأوه من بحوثهم العلمية في علوم الكون والفلك .

فجوابه ان يقال إذا كنت ترى ذلك واجباً عليك فاذهب إلى القمر وغيره من الاجرام العلوية وتمم ما بدأه اسلافك أهل الهيئة الجديدة من المزاعم الباطلة والظنون الكاذبة فيها . ولا يخفى عليك أن من ترك الواجب عليه فهو آثم أما غيرك فانهم قد وقفوا حيث وقف بهم فما جاءهم عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تلقوه بالقبول والتسليم وما سكت الله ورسوله عنه سكتوا عنه ولم يتكلفوا ما لا علم لهم به لعلمهم ان الله تعالى قد نهى عن ذلك في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

وأما قوله وهل سار علماؤنا في هذا الطريق إلا بامر من الله ووحي من فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فجوابه ان يقال علماؤك من أهل الهيئة الجديدة لم يسيروا فيما زعموه عن القمر وغيره من الاجرام العلوية على امر من الله تعالى ووحي من فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما ساروا على مجرد ظنونهم وارصادهم التي لا تغني من الحق شيئاً .

وقد صرح الالوسي بذلك في قوله . وقد غلب على ظن أكثر أهل الحكمة الجديدة ان القمر عالم كعالم ارضنا هذه وفيه جبال وبحار ويزعمون انهم يحسون بها بواسطة ارصادهم فذكر انهم ساروا على مجرد الظن وما تقتضيه الارصاد لا على امر من الله تعالى ووحي من فهم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وذكر الالوسي أيضاً في صفحة ٢٣ ان هرشل الفيلسوف واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد تخيلوا خلاف ما ذهب إليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بان الشمس مركز والارض وكذا النجوم دائرة حولها .

وهذا صريح في ان أهل الهيئة الجديدة انما ساروا على مجرد التخيلات وهي التخرصات والظنون الكاذبة . لا على امر من الله تعالى ووحي من فهم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ويلزم على قول الصواف ان يكون الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان قد تركوا العمل بامر أمر الله به ولم يفهموا ما جاء في الكتاب والسنة عنه . وان الذين عربوا كتب اليونان وعملوا رصد الكواكب في زمن المامون وما بعده هم الذين عملوا بما اهمله الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وفهموا من الكتاب والسنة ما لم يفهمه الصحابة والتابعون وتابعوهم . هذا ما يقتضيه كلام الصواف كما لا يخفى على من له ادنى علم وفهم

ولا يخفى أيضاً ما يقتضيه كلام الصواف من الازراء بالصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان . وما يقتضيه أيضاً من الثناء على الذين عملوا رصد الكوكب وتخرصوا في الاجرام العلوية وزعموا فيها المزاعم الباطلة .

وما كان مقتضياً لما ذكرنا فهو قول سيء ينبغي التحذير منه لئلا يغتر به .

وقد ذكرت في اثناء الكتاب كلاماً حسناً للحافظ أبي عبد الله الذهبي قال فيه أنه لما عربت كتب الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب نشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة . ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية. قلت وعن هذا العلم المردي المهلك نجم الكلام في القمر وغيره من الاجرام العلوية والاخبار عما فيها بمجرد التخرصات والظنون الكاذبة .

وعلى هذا العلم المردي المهلك سار علماء الصواف لا على ما زعمه من الامر والوحي اللذين لا وجود لهما .

وأما قوله والله تبارك وتعالى حينما يقول وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس (قل انظروا ماذا في السموات والارض) فهل المراد مجرد النظر للتفرج والتفكه والتسلي أم هو النظر للبحث والعلم والتحقيق والاعتبار والادكار .

فجوابه ان يقال ليس المراد من الامر بالنظر في ملكوت السموات والأرض مجرد النظر للتفرج والتفكه والتسلي ولا النظر للبحث والكشف عما في الاجرام العلوية من جبال وبحار وغير ذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فان هذا من الرجم بالغيب والقول بغير علم . وانما الامر بالنظر للتفكر والاعتبار والاستدلال على عظمة الخالق جل جلاله وكمال قدرته وانه الإله الواحد الأحد الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده دون من سواه .

والآية انما سيقت في مخاطبة المشركين ودعائهم إلى الايمان بالله تعالى . قال البغوي في قوله تعالى (قل انظروا) أي قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها وفي الارض الجبال والبحار والانهار والاشجار وغيرها . قلت وتمام الآية دال على ان الخطاب للمشركين ولهذا قال تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ونظير هذه الآية قوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) الآية ، وقوله تعالى (افلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الارض كيف سطحت .) وقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) قال القرطبي في تفسيره (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها من ليلها ونهارها وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيها من قدرة الله تعالى إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعاً قادراً واحداً فيستحيل ان يكون له شريك انتهى .

وأما حمل الآية على ما قاله الصواف من البحث والعلم والتحقيق – يعني البحث عما في الاجرام العلوية من جبال وبحار وسكان وتحقيق ما غلب على ظنون أهل المراصد من ذلك والعلم به – فهو من الالحاد في آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه .

فصل

ثم ذكر الصواف ما نقله الالوسي في صفحة ٤٦ و ٤٧ عن ابن الهيثم انه قال في القمر يحتمل ان يكون كرة نصفها مضيء ونصفها مظلم ويتحرك على نفسه فيرى هلالا ثم بدراً ثم ينمحق وهكذا دائماً .

والجواب أن يقال هذا الاحتمال بعيد من الصواب ، ومن امعن النظر في القمر ولا سيما من الليلة التاسعة إلى ليلة احدى وعشرين لم يشك ان وجهه الذي يقابل الارض لا يزال مقابلا لها وانما يزداد نوره وينقص بحسب مقابلته للشمس .

وقد روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما (وجعل القمر فيهن نوراً (قال وجهه إلى العرش وقفاه إلى الأرض قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في تلخيصه على شرط مسلم ، وهذا يرد ما قاله ابن الهيثم والله أعلم .

فصل

ثم ذكر الصواف ما نقله الالوسي في صفحة ٤٨ عن ابن قتيبة في ذكر منازل القمر الثمان والعشرين . وعد منها السماك الرامح وليس هو من المنازل . واسقط سعد السعود وهو من المنازل . وهذا غلط إما من الالوسي او ممن قبله من النساخ ويبعد ان يكون ذلك من ابن قتيبة .

فصل

وهنا اود ان اتم ما بدأت بنقله حول ما قالوه عن عدد الارضين حيث قال المؤلف ، وقد قالوا ايضاً ان هذه الشمس في عالم هي مركز دائرته وبلقيس مملكته بمعنى ان جميع ما فيه من كواكبه السيارة تدور عليها فيه على وجه مخصوص ونمط مضبوط وقد يقرب إليها فيه ويبعد عنها إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى كواكب ذوات الاذناب وهي عندهم كثيرة جداً تتحرك على شكل بيضي . وان الشمس بعالمها من توابع كوكب آخر

تدور عليه دوران توابعها من السيارات وهو فيما نسمع احد كواكب النجم ولهم ظن في ان ذلك ايضاً من توابع كوكب آخر وهكذا . وسماء كل عالم كالقمر عندهم ما انتهى إليه هواؤه حتى صار ذلك الجرم في نحو خلاء فيه لا يعارض ولا يضعف حركته شيء . والجسم متى تحرك في خلاء لا يسكن لعدم المعارض فلتكن كل ارض من هذه الارضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سمائين وهناك ما يستضيء به اهلها سابحاً في فلك بحر قدرة الله عزَّ وجلّ ، ونسبة كل ارض إلى سمائها نسبة الحلقة إلى الفلاة وكذا نسبة السماء إلى السماء التي فوقها كما ذكرنا سابقاً . قال ولقد ختم الالوسي قوله في الارضين بما يأتي وفي الجملة من صدق بسعة ملك الله تعالى وعظيم قدرته لا ينبغي ان يتوقف في وجود سبع ارضين على الوجه الذي قد مناه ويحمل السبع على الاقاليم أو على الطبقات المعدنية والطينية ونحوهما وليس ذلك مما يصادم ضرورياً من الدين او يخالف قطعياً من ادلة المسلمين .

والجواب ان يقال كل ما نقله الصواف ههنا عن الالوسي فهو باطل . وقد نبهت على بطلان كل جملة منه في موضعها فاغنى ذلك عن اعادته ههنا .

فأما ما ذكره عن أهل الهيئة الجديدة ان الشمس هي مركز العالم وان جميع الكواكب السيارة تدور عليها فقد تقدم بيان بطلانه في أول الكتاب وفي مواضع كثيرة في اثنائه .

وأما قولهم ان الشمس بعالمها من توابع كوكب آخر تدور عليه إلى آخره . فقد تقدم رده مع الامثلة على نقصان كتاب الالوسي وفي المثال الثامن عشر من الامثلة على بطلان الهئة الجديدة . وأما قوله ان كل ارض من الارضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سمائين إلى آخر كلامه . فقد تقدم رد كل جملة منه على حدة مع الامثلة على نقصان كتاب الالوسي وهذا آخر ما تيسر ايراده ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النبذة في يوم الاربعاء الموافق لست مضين من جمادى الثانية سنة ١٣٨٦ هـ على يد جامعها الفقير إلى الله تعالى حمود بن عبد الله التويجري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(فهرس الصواعق الشديدة . على أهل الهيئة الجديدة)

صفحة

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين .

« تنبيه» سيتلوه ان شاء الله تعالى (ذيل الصواعق) في الرد على ما زاده الصواف في رسالته المطبوعة المسماة « المسلمون وعلم الفلك » ،